الوعي

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

■ قراري مجلس الامن ٢٢٤ و٣٣٨ (ص١٧)

اصول الدين يجب ان تكون يقينية ولا يكفي فيها غلبة الظن

التاريخ للفكر من خلال السهرستاني

لجنة صندوق النقد الدولي تلاحق دويلات العالم الاسلامي

الجنرال غورو وتكبير لبنان ١٩٢٠ م

السنة الثانية ـ العدد الثامن ـ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق شباط ١٩٨٩م

AL-WAIE

الوعي

السنة الثانية ـ العدد العاشر

جامعيّة ـ فكريّة ـ ثقافية

تصدر غرّة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان

المراسلات
على العنوان التالي

«الوعي»
كلية بيروت الجامعيّة
ص. ب: ٨٩ / ٥٠٥٣ ـ ١٣
بيروت ـ لبنان

ثمن النسخة

لبنان: ٥٠ ل. ل.
الولايات المتحدة: ١,٥ دولار.
السويد: ٥ كورون.
ألمانيا: ١,٥ مارك.
استراليا: ١,٥ دولار.
باكستان: ١٢ روبية.
النمسا: ١٠ شلن.
بلجيكا: ٥٠ فرنك بلجيكي.
فرنسا: ٥ فرنك فرنسي.
سويسرا: ١,٥ فرنك
يوغسلافيا: ١,٢٥ دولار

إقرأ
في هذا العدد

□ لبنان الصغير ..... (ص ٤)
□ متى نعود الى الله ..... (ص ٧)
□ الجنرال غورو
وتكبير لبنان ١٩٢٠ م ..... (ص ٩)
□ أصول الدين
يجب ان تكون يقينية ..... (ص١٣)
□ قراري مجلس الأمن ٢٢٤ و٣٣٨ (ص١٧)
□ لعنة صندوق النقد الدولي ..... (ص٢٦)
□ التاريخ للفكر
من خلال الشهرستاني ..... (ص٣٠)

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة.

إلى السادة الكُتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق، على أن تُذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلاّ المواضيع التي لم يسبق نشرها، وإلاّ فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وغير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

هذه أمة

من أجل الاعتراف الرسمي بها

تونس: حركة الاتجاه الإسلامي تغير اسمها وتصيغ برنامجاً علمانياً.

قررت حركة الاتجاه الإسلامي الاصولية في تونس تغيير إسمها وصياغة برنامج علماني في محاولة للظفر بإعتراف بها كحزب سياسي وذلك حسبما قال أحد زعمائها. وقال الامين العام السابق للحركة الشيخ عبد الفتاح مورو ان الحركة ستتقدم بطلب إلى وزارة الداخلية هذا الاسبوع للحصول على إعتراف بها تحت إسم حركة النهضة. واضاف قوله في الحديث الذي ادلى به امس الاول «لقد إستغرق الامر منا بعض الوقت لجعل حركتنا تنسجم مع قانون الأحزاب السياسي... الآن فإننا نفذنا كل الشروط الواردة بالقانون». وبموجب هذا القانون الذي صدر في نيسان الماضي لا يسمح للأحزاب بأن تقوم على أساس الدين او اللغة او العنصر او الجنس. وهذا التشريع يقف العقبة الرئيسية امام إضطلاع المسلمين الاصوليين بدور سياسي. وقد أخرج الرئيس التونسي زين العابدين بن علي بعد توليه السلطة في تشرين الثاني عام ١٩٨٧ عن كثير من اعضاء الحركة وسمح لآخرين بالعودة من المنفى ولمّح إلى أنه يريد منهم الاشتراك في الحياة السياسية. وقال الشيخ مورو ـ الذي سيصبح امينا عاما لحركة النهضة الجديدة ان الحركة وافقت على التغييرات بقرار بالاغلبية وانه ليس هناك اي إحتمال لحدوث إنقسام. ونأى بالحركة الجديدة عن حزب التحرير الاسلامي المتشدد الذي يمارس نشاطه في الخفاء ويطالب بتطبيق الشريعة ولكنه يطالب بالعودة الى القيم والتقاليد الإسلامية التي يشعر المسلمون الاصوليون انها هجرت في عهد الرئيس السابق الحبيب بورقيبة. وقال الشيخ مورو ان حركة النهضة تامل ـ في حالة الاعتراف بها قبل الانتخابات البرلمانية المقرر ان تجري في مطلع نيسان المقبل ـ بأن تفوز بأكثر من ١٥ مقعداً بالبرلمان الذي يبلغ مجموع مقاعده ١٢٥ مقعداً. واضاف قوله «أعتقد ان الفوز بأكثر من هذا العدد فيه مجازفة بإثارة هياج بين الرأي العام».

(رويتر)

الاثنين ١٩٨٩/١/٣٠.

كلمة الحق

عداوة المسلمين واليهود

قال اسحاق شامير: (إن أي قوة في العالم لا يمكنها إرغامنا على قبول دولة فلسطينية في ارض اسرائيل. لقد حان الوقت ليعرفوا في كل مكان ان هذا البلد مرتبط منذ آلاف السنين بشعب واحد هو الشعب اليهودي).

هذا الكلام من شامير يفرح المسلمين ولا يزعجهم. انه يزعج فقط اللاهثين زحفاً ووهماً لمثل هكذا دولة.

المسلمون يفهمون حقيقة واحدة عن علاقتهم باليهود هي علاقة العداوة والقتال والقتل لاي كيان يهودي في بلاد المسلمين. هذه الحقيقة ثابتة لا تحول ولا تزول وهي مثبتة في التنزيل العزيز: ﴿لتجدنّ اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا﴾.

﴿كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله﴾ فحربهم الى هلاكهم، ودولتهم الى زوال بين عشية وضحاها، ومصيرهم المحتوم ان يذبحوا في فلسطين كما انبانا الصادق المصدوق ﷺ: «لا تقوم الساعة، حتى يقاتل المسلمون اليهودَ فيقتلهم المسلمون».

إن الذين اعترفوا بدولة اليهود وتنازلوا لهم عن فلسطين سيكون مصيرهم مصير اليهود في الدنيا والآخرة: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

المسلمون يفرحون حين يرون التصلب والتعالي اليهودي، لانهم بذلك يهيئون اسباب المذبحة، ويقربون أجلها.

حكومة مصر تطلب من حكومة اليهود أن تمنع المحكمة اليهودية العليا من إصدار قرار يحظر على ادارة الاوقاف الإسلامية ترميم داخل المسجد الأقصى وباحته. بحجة ان مثل هذا القرار «سيسيء الى الوضع الحاضر للمسجد والى المشاعر الدينية للمسلمين في العالم».

إن إصدار مثل هذه القرارات هو لمصلحة تعبئة النفوس المسلمة ضد اليهود ودولتهم. إن زيادة الإفساد وزيادة العلو من العوامل اللازمة لعملية ذبح اليهود وتدميرهم وذبح أوليائهم معهم.

قال تعالى: ﴿وإذا عدتم عدنا﴾ صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة «الوعي»

قبيل قيام البطرك صفير برحلته الشهيرة الى أميركا في حزيران ١٩٨٨ قال بأنه (سمع كلاماً مقلقاً خلاصته: هل هناك جدوى من اعادة لبنان الى الخريطة؟ وماذا يخسر أصحاب المصالح الاقليمية والدولية من زوال بلد يسميه البعض «غلطة جغرافية» والبعض الآخر «غلطة تاريخية») [جريدة الأنوار ١٩٨٨/٦/١٢].

اما سليمان فرنجية فقد صرح غير مرة، اثناء رئاسته وبعد رئاسته، أن أميركا عرضت عليه، بلسان كيسنجر، أن تؤمّن البواخر لترحيل الموارنة والنصارى من لبنان.

وكان المطران جورج خضر كتب في جريدة النهار أن الذين هجروا لبنان خلال السنوات الأربع عشرة الأخيرة يزيدون عن (٨٠٠) الف شخصاً أكثرهم من النصارى. وقد صحح جوزيف سكاف هذا الرقم فقال بأن الاحصاءات بينت أن المهاجرين بلغوا (٤٨٠) الف لبناني منهم (٤٠٠) الف من النصارى والباقي من المسلمين. [كلام سكاف من مقابلة مع تلفزيون L.B.C. في ٨٨/١٢/١٨].

روجيه إده قال عن جلسة ضمته وريمون اده ومسؤول أميركي كبير، إن ريمون اده سأل المسؤول الاميركي: كيف تنظر الإدارة الأميركية إلى أهمية لبنان؟ وكان جواب المسؤول الأميركي: لبنان لا أهمية له، ولم يعد من حاجة لوجوده. [من مقابلة روجيه اده مع تلفزيون لبنان قنال ٧ في ٨٩/١/١٢].

جوزيف سكاف، نائب زحلة، قام بمسعىً لدى الدول الكبرى لاقناعها بفصل مشكلة لبنان عن مشكلة المنطقة من أجل الاسراع في حل مشكلة لبنان. وكان المسؤول الانجليزي الذي كلمه صريحا معه فقال له: (لا تتعب نفسك ولا تضيّع وقتك، لبنان تابع للمنطقة ولا يمكن فصله عنها) وأضاف: (انتم تظنون لبنان كبيرا ومهما ونحن نراه نقطة صغيرة في منطقة، والمنطقة كلها نراها صغيرة، فلا تتوهموا). [من مقابلة مع L.B.C في ٨٨/١٢/١٨].

مورفي، المسؤول الأميركي، قال للمسؤولين اللبنانيين في ٢٠ أيلول ٨٨ بأنه اتفق مع سوريا على أن يكون مخايل الضاهر المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية، وإذا رفضوه فمصير لبنان هو الفوضى والخراب.

البطرك صفير قدم قائمة بأسماء مرشحين ونقلتها أميركا لسوريا لتختار سوريا واحداً من القائمة، ويقول جوزيف سكاف في مقابلته التلفزيونية المذكورة: (سألت السفير الأميركي عن مبرر تفاؤله بحصول انتخابات قريبة فأجابني: الاسماء عند سوريا فان وافقت على اسم منها فالانتخاب يحصل فوراً). وهذا يعني أن أميركا جعلت، وبشكل علني، الكلمة الفصل في اختيار رئيس الجمهورية اللبنانية، لسوريا وحدها.

مورفي قال أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الأميركي، بعد الاخفاق في انتخاب رئيس للجمهورية في لبنان، قال: (إما أن ينتخبوا رئيساً للجمهورية وإما أن ينقسم لبنان الى دولة مارونية صغيرة والى جمهورية شيعية).

واستمر مسلسل الشرذمة والتقسيم: انقسام رسمي في الحكومة، انقسام واقعي في مجلس النواب، انقسام رسمي في الأمن العام، انقسام رسمي في الجيش، والحبل على الجرّار. وقبل ذلك انقسام في الأفكار والمشاعر والولاءات، وانقسام في المصالح والتحالفات.

أما من حيث السلطة العسكرية على الأرض فان اسرائيل تحتل الشريط الحدودي، وتهيمن على قسم آخر، والباقي هو في يد سوريا.

وإذا طُرحتْ هذه الصورة أمام أي عاقل في الدنيا فماذا تُراه يقول؟ أيقول بأنه متفائل باقامة لبنان الجديد؟ أيقول بأن الدول الكبرى صادقة في اعادة لبنان بلداً حراً مستقلاً؟ أم يقول بأن لبنان الـ١٠٤٥٢ كلم مربع انتهى؟

وهل كان لبنان في يوم من الأيام عبر التاريخ سيداً حراً مستقلاً، كي نقول بعودته الى ذلك؟

لبنان الصغير

ميشال عون قال: (لبنان لم يكن ولا مرة في تاريخه الحديث سيداً حراً مستقلاً... ففي نظام القائمقاميتين لم يكن مستقلاً. وفي ظل حكم المتصرفية كان المتصرف اجنبياً. وبعد حكم المتصرفية صار لبنان خاضعاً للحكم الفرنسي. وفي عام ١٩٤٣ لم يحصل لبنان على الاستقلال التام الناجز كما زعم، انما استقل عن فرنسا وبات خاضعاً للنفوذ البريطاني ولتوجيهات «المفوض السامي» يومذاك الجنرال سبيرس. وبعده صار خاضعاً لتوجيهات مصر عبد الناصر بشخص سفيرها اللواء عبد الحميد غالب. وبعده لمداخلات الفصائل الفلسطينية... ثم صار لبنان أخيراً خاضعاً لسيطرة سوريا الأسد وهيمنتها وهو لا يزال الى الآن). [جريدة النهار ٨٩/١/٩].

نعم لم يكن لبنان في يوم من الأيام سيداً حراً مستقلاً لا في تاريخه الحديث ولا القديم. ولكن الدول الغربية ذات المصلحة، وعلى راسها فرنسا، أوجدت تحت حمايتها وهيمنتها كياناً اسمته لبنان، وتوهم في بعض الفترات أنه سيد مستقل. وقد ضعف نفوذ فرنسا، الأم الحنون، ولم يبق عند أميركا أو الانجليز من مصلحة للحفاظ على هذا الكيان فصار في مهب الريح.

ثم اقتنعت أميركا بأنه لم يعد من مبرر لبقاء الكيان اللبناني ووافقت على اطلاق يد سوريا فيه.

في البداية وافقت أميركا على اطلاق يد سوريا في لبنان بشكل خجول، ولكن بعد أن صرح مورفي بأن سوريا لم تقبل برئيس غير مخايل الضاهر، وخيّر اللبنانيين علناً بين من اختارته سوريا وبين الفوضى والخراب، تكون أميركا قد أطلقت يد سوريا في لبنان واقعياً ورسمياً.

واللبنانيون ينتظرون الآن الترياق الآتي من تونس. وفي ندوة في التلفزيون اللبناني القنال ١١، طرحت فكرة أن يعود الرؤساء الثلاثة: الحسيني والحص وعون كرؤساء، أي فليتفقوا على: عون لرئاسة الجمهورية والحسيني لرئاسة مجلس النواب والحص لرئاسة الحكومة، وتنحل المشكلة.

مساكين هؤلاء الذين تتقاذفهم الأرجل كالكرة ويظنون انهم يتحركون بارادتهم.

عون والحص والحسيني لا يملكون من الأمر شيئاً. صباح الأحمد الصباح واللجنة التي يرأسها لا يملكون من الأمر شيئاً. وزراء الخارجية العرب الذين اجتمعوا وشكلوا اللجنة لا يملكون من الأمر شيئاً. مؤتمر القمة العربي لا يملك من الأمر شيئاً.

الأمر هو في يد الدول الكبرى، وبالتحديد في يد أميركا. والتصرفات التي تقوم بها أميركا تشير الى انها لم تكن تريد انتخابات رئاسة جمهورية، وتشير الى انها كانت تخدع البطرك صفير، وتشير الى أنها الآن تخدع وزير خارجية الكويت ولجنته، وتخدع المسؤولين في لبنان، وتشير الى أن حالة الفوضى التي يتخبط فيها لبنان تسير بشكل مبرمج وأن أميركا هي صاحبة هذه البرمجة.

الى أين تسير أميركا بلبنان مادامت هي صاحبة البرمجة؟ لا نريد أن نغرق في التكهن بل نكتفي بالاشارة الى الاتجاه الذي يسير فيه قطار البرمجة الأميركية.

إن كلام مورفي أمام لجنة الشؤون الخارجية عن قيام كيان ماروني صغير وقيام جمهورية شيعية يشير الى ما تريده أميركا. ولا يقصد مورفي بعبارة «جمهورية شيعية» جمهورية اسلامية أو كيان شيعي بل يقصد انه سيكون هناك منطقة صغيرة، ربما في كسروان، تعطى للموارنة ليعبروا فيها عن ذاتهم، وتكون بقية لبنان دولة واحدة باشراف سوريا كما هو حاصل الآن.

والكيان الماروني الصغير بدأ يحن إليه كثير من الموارنة، فقد كتبت جريدة النهار في ٨٩/١/٣١ بتوقيع سركيس نعوم: (ما هي الصيغة الممكنة للبنان المستقبل في رأي مسحيي الشرقية؟ هناك صيغتان... الأولى... صيغة لا مركزية... تدعمها القوات اللبنانية... قال جعجع: «إن صيغة الـ ٤٣ ماتت، وإن مصلحة لبنان

←

تقتضي صيغة جديدة فدرالية، وأن لا تراجع عن هذا الهدف»... أما الصيغة الثانية، فأصحابها يعتقدون ان «لبنان الكبير» الذي اعلنه الجنرال الفرنسي غورو عام ١٩٢٠، كان خطأ كبيراً إذ أخل بالمعادلة الطائفية في لبنان... وهم يعتقدون أيضاً أن لبنان الصغير... قد يحمل الحل...).

هاتان الصيغتان هما صيغة واحدة في الحقيقة، لأن الذي يطالب بالعودة الى لبنان الصغير، أو يطالب بفيدرالية في لبنان الصغير مرتبطة ببقية لبنان، هذان المطلبان هما في الواقع مطلب واحد.

وهذا يعني أن الموارنة فقدوا الأمل في أن يحكموا كل لبنان، فانكفأوا الى لبنان الصغير. أي انهم ينسوا من دعم الدول الكبرى لهم كما ساعدتهم فرنسا عام ١٩٢٠.

ولكن هل تساعدهم أميركا لتكوين كانتون لهم فيما يسمى بلبنان الصغير؟ في أحسن الحالات بالنسبة لهم تساعدهم على انشاء ما يشبه الحكم الذاتي، أو إدارة لا مركزية، على أن تبقى هذه الادارة تابعة للدولة في لبنان أي لسوريا، لانها هي الدولة في لبنان في المدى المنظور. أما ان ينشئوا كياناً مستقلاً في لبنان الصغير فهذا امر غير مسموح به. وقد صرح عبد الحليم خدام غير مرة أن هذا غير مسموح به، وصرح حسين الحسيني أن هذا لن يكون، لأن هذا هو التقسيم.

والمفروض أن لا يتم هذا لأنه سيكون خنجراً، مثل اسرائيل، في خاصرة المنطقة كلها.

والمطلوب من المسلمين الآن ومن عقلاء الموارنة وسائر النصارى أن يرضوا بالأمر الواقع ويصبحوا بشكل رسمي وقانوني جزءاً من سوريا ومن سائر بلاد الشام، وأن يتوجهوا لقلع الخنجر الآخر وهو دولة اليهود من فلسطين.

المطلوب من هؤلاء أن يكفوا عن التطلع لانسحاب سوريا من لبنان، وأن يطلبوا بدل ذلك من سوريا أن ترتب الأمور من أجل اقامة الوحدة الاندماجية بين سوريا ولبنان.

الأمر ليس صعبا. في بعض الحالات يكون هناك قانون على الورق ولا يكون له واقع تطبيقي على الأرض، وفي بعض الحالات يكون هناك واقع مطبق على الأرض، ولكنه يفتقر الى قانون يكسبه الناحية الشرعية، وهذا أهون بكثير من الحالات الأولى، لأن الجانب الصعب في الأمر هو التطبيق العملي على الأرض، وليس تشريع القوانين، خاصة حينما يكون هذا التطبيق وهذه القوانين تحقق مصالح الناس وتتجاوب مع رغباتهم.

إن الوحدة هي الأمر الذي ينادي به الناس من صميم قلوبهم وهي التي تحل مشاكلهم، وها هي تتحقق على أرض الواقع، فلماذا نقابلها هكذا بخجل وتردد، ولماذا لا نندفع الى إكمالها بأن تكتب الأقلام وترتفع أصوات الخطباء وتعقد الندوات ويتشاور أهل الحل والعقد في أنجع السبل من أجل تحقيق هذه الوحدة.

اسرة «الوعي»

تنويه

إلى الاخوة المشتركين...

ترجو اسرة مجلة «الوعي» من الاخوة المشتركين، الذين انتهت مدّة اشتراكاتهم او تسلّموا من «الوعي» إثني عشر عدداً، تجديد اشتراكاتهم، والله ولي التوفيق.

اسرة «الوعي»

متى نعود الى الله!

ان إيماننا المطلق ان تدهور حال المسلمين لن يتوقف إلاّ بإيجاد السلطة الإسلامية الكفيلة بحمل الإسلام دعوةً ومنهاجاً كاملاً، إذ يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، مع إيماننا بهذا نقول: لا بد أن يجد كل مسلم في نفسه الوازع الرادع الذي عبر عنه الله تعالى حين قال: ﴿.. ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (القيامة: ٢).

إن هذه النفس التي لا تفتأ تلوم نفسها كلما بدرت منها خطيئة، هذه النفس لا بد أن تكون مُشْرَبةً بتعاليم الإسلام، مقتنعة بجدوى الحلول التي يطرحها. وحتى يتوفر هذا الأمر لا بد للمسلم أن يتخطى نقطة مهمة وهي اتخاذ الإسلام مجرد تقاليد موروثة أو نوعاً من «الفولكلور الشعبي». فهو كمن ذكر الله أنهم يقولون: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أُمَّة﴾** الزخرف ـ ٢٢ أي وجدناهم على دين معين فتبعناهم دون تحري دلائلهم.

في الكثير من مجتمعات المسلمين ـ وإن خلت من أهم مقوماتها ـ نجد أن الإسلام يتخذ ظاهرة عجيبة فالمسلم المتدين هو الذي يحمل المسبحة أو يطيل لحيته... ونراه في سائر مظاهر حياته بعيداً عن الإسلام، إذ أن الإسلام يمتاز عن سائر الأديان في أنه مجموعة من القوانين والأنظمة المنبثقة انبثاقاً كلياً عن العقيدة الإسلامية ومن هنا صحّ أن الإسلام مبدأ فهو عقيدة انبثق عنها نظام.

وللتعمق أكثر في فهم جوهر المشلكة نتذكر معاً أن المجتمع يقوم على عدة ركائز: الأفراد والأفكار والمشاعر والأنظمة. والذي يعوق اكتمال المجتمع الإسلامي حالياً هو الأفكار والأنظمة. أما الأنظمة فلا سبيل إلى ترسيخها إلا بعد إيجاد الدولة الإسلامية.

وأما الأفكار فهي التي يجب التركيز عليها وجعلها خاضعة للتصور الإسلامي دائماً.

وفي هذه السطور نطرح واقعاً أليماً هو السبب الأساسي في تدهور الفكر الإسلامي هذا الواقع نتلمس جوانبَ منه في قول الله تعالى:

﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً * وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا *﴾ الفرقان ـ ٢٧ إلى ٣٠.

في هذه الآيات ـ إذا أمعنا في قراءتها ـ نجد سببين لتدهور المسلمين الفكري:

أولاً ـ انهم تركوا نظام الإسلام وانكبوا على أنظمة وضعية ثم اتخذوا الزعماء المضلّين أصناماً بشرية، أنداداً من دون الله. فإذا قال الزعيم فلان قولاً اتّبعوه ولو خالف صريح القرآن والسنة بل ربما عمدوا إلى تأويل النصوص الشرعية لتوافق مذهب زعيمهم السياسي.

شهدنا ذلك مثلاً حين ادعت فئة من الفقهاء أن الاسلام هو عين الاشتراكية فباتت هذه الفئة تنظر إلى القرآن والسنة فما راته يتفق والاشتراكية ـ في زعمهم ـ سلطت عليه الأضواء. أما ما ينقض أسس الاشتراكية فقد جهدوا في تأويله على غير وجهه وربما ادعوا أن هذا الحديث أو ذاك موضوع لمجرد أنه لم يلائم أهواءهم.

جاء في الأربعين النووية أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعاً لما جئت به»** حديث صحيح مرويّ عن عبد الله بن عمرو.

الفكر الإسلامي يكون في استنباط الأحكام من النصوص الشرعية وإخضاع كل شيء للحكم الشرعي لا لأهواء القادة المنحرفين عن المَحَجَّةِ البيضاء. كلما تقدم الزمن وتكشفت افتراءات هؤلاء قلنا: الآن وضح الحق فاتركوا أصنامكم، ولكن هذه الأقوال نادراً ما تجد القَبُول! أما آن للأصنام أن تتحطم.

ثانياً ـ إن المسلمين هجروا القرآن، نقولها بينما يقول عامة الناس: على النقيض من ذلك، ألا ترى أن القرآن يُقرأ في المناسبات والموالد وعند الموت، ألا ترى أنه يُطبع وتوزع نسخاته بالآلاف ويسجَّل على اسطوانات... الخ.

لهؤلاء نقول ما قال إبن قيم الجوزية في تفسير الآية ٣٠ من الفرقان:

«هجر القرآن أنواع:

احدها ـ هجر سماعه والإيمان به.

والثاني ـ هجر العمل به وإن قراه وآمن به.

والثالث ـ هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

والرابع ـ هجر تدبره وتفهم معانيه.

والخامس ـ هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب.

وكل هذا داخلٌ في قوله تعالى **﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾**. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض».

أليس القرآن مهجوراً!!

فإن قيل: ليس على عامة المسلمين إثم في عدم تطبيق الإسلام لأن الوزر على حكامهم الذين يتبنّون أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان. إن قيل هذا، قلنا لهم: فأين

إنكارهم لهذا الوضع وعملهم على تغييره ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم﴾ الرعد ـ ١١. هل فعلوا؟ لا نرى إلاّ أنهم أخذوا يتأقلمون مع واقعهم ويريدون أن يتأقلم الإسلام مع الواقع المرير. وهذا لن يكون.

ثم ما عذر المسلمين في الذي ذكره ابن القيم من هجر القرآن: هجر تدبره وتفهم معانيه!! والله يقول: ﴿افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾ محمد ـ ٢٤ ولم يقل: أفلا يقرأون. إن القراءة دون تدبر لا تكفي. المسلمون اليومَ يستمعون إلى تلاوة القرآن وترى الخشوع على وجوههم ولكنه ليس خشوعاً بل هو كالأثر الذي يفعله الغناء والطرب في قلوب عاشقيه، لذلك ترى العبادات تتحول تدريجياً من عبادات أمر بها الإسلام إلى عبادات مبتكرة كالموالد النبوية التي تُحشَى بالأناشيد الدينية مصحوبة بالدفوف وأدوات العزف. هذه الطريقة في التعبُّد أصبحت هي السائدة وهي المفضلة. قال إبن قيم الجوزية في مدارج السالكين (١/٤٨٧):

تُلِيَ الكتابُ فأطرقوا، لا خيفةً
لكنه إطراق ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا
والله ما رقصوا من أجل الله
دُفٌّ ومزمار ونغمة شاهد
فمتى شهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لمّا رأوا
تقييده بأوامر ونواهي
وعليهم خفّ الغنا لما رأوا
إطلاقه في اللهو دون مناهي.

ولعمري، ما أشد انطباق البيت الرابع على المسلمين في أيامنا هذه، قراءة القرآن والاستماع إليه أمر ضروري، ولكن أن نجعله هو الغاية: هذا هو الخطأ. فقراءة القرآن وسماعه وسيلة إلى غاية أخرى وهي تفهم الأحكام لإقامة حكم الله في الأرض.

ولنتأمل في السلف الصالح كيف كان تعاملهم مع القرآن:

لقد أقام إبن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين، ذلك انه كان يحفظ ولا ينتقل من آية إلى آية حتى يفهم. وقال إبن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهنّ».

وقد وصف ابن عمر الفرق بين من يقرأ القرآن بتدبر ومن يقرأه دون تدبر بقوله:

«لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها. ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما أمره وما زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده..».

والمسلمون اليوم في أشدّ الحاجة إلى تدبر معاني القرآن لإعادة الحياة الإسلامية. يجب أن نطلق الصيحة تلو الأخرى لإفهام الناس معنى العبادة وكيفية العبادة. نجد مثلاً أن شخصاً يريد أن يتقرب إلى الله، وفي قريته الأيتام والأرامل والفقراء فهل يتصدق عليهم؟ لا. إنه يُشيدُ مسجداً ضخماً فإذا ما أتمَّ بناءه وسمّاه باسمه رأيت المصلين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد! ثم يقال: هذا العمل يخدم الدعوة الإسلامية!.

روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد**». ولفظ ابن خزيمة: «**يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلاً**».

وقد روى أبو داود وابن حبان وصححه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**ما أمرت بتشييد المساجد**» أي برفع بنائها زيادة على الحاجة. وزاد أبو داود: قال إبن عباس: «**لتُزَخرفُنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى**».

هذه لمحات عن الفهم الخاطىء لجزء من الحياة والأحكام: وهو العبادات، فما بالك بسائر جوانب حياتنا التي تشهد البعد عن الدين الحنيف. قال رسول الله ﷺ:

«**سياتي على الناس زمان ما يبقى من القرآن إلاّ رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه، يتسمّون به وهم ابعد الناس منه. مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى. فقهاء ذلك الزمن شر فقهاء تحت ظلّ السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود**». رواه الحاكم في التاريخ عن عبد الله بن عمر، والطبرانيُّ والديلميّ.

في هذا العصر الرديء، نبحث عن الخلاص، ولا خلاص إلا في كتاب الله، فلنعد إليه، ولنبصر الحق ولنثبت عليه مهما كانت الصعوبات. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون**».

اللهم اجعلنا من الذين إذا ذُكّروا بآياتك لم يخروا عليها صمّاً وعمياناً. واجعلنا من الذين يتدبرون كتابك. واجعلنا من الذين اتخذوا مع الرسول سبيلاً. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجنرال غورو وتكبير لبنان ١٩٢٠ م

كانت مهمة الجنرال غورو تتحدد وفق «تمنيات أهل الصناعة والتجارة في ليون» في السيطرة الكاملة على سورية، ومنع أي تدبير من شأنه عرقلة المشاريع الإقتصادية الكثيرة التي ابتدأت تنتهيا لها الشركات الفرنسية. (لسان الحال ٢٣/١٠/١٩١٩).

حين فصل غورو لبنان عن بلاد الشام سنة ١٩٢٠ وحوله من جبل لبنان إلى لبنان الكبير، بضم بعض الأقضية إليه، لم يكن يفعل ذلك من أجل مصلحة الموارنة بل من أجل مصلحة النفوذ الفرنسي

يومها فرح أكثر الموارنة وتخوفت قلة منهم من عواقب التكبير.

اليوم (وكما كتب سركيس نعوم في جريدة النهار ٣١/١/١٩٨٩) اكثرية الموارنة منزعجون من عمل الجنرال غورو.

يومها كانت فرنسا تزحف من لبنان إلى بلاد الشام، اما اليوم فإن بلاد الشام تعود لتحتضن لبنان.

وها نحن نضع بين يدي القراء صفحات من كتاب: (الإتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠) معهد الإنماء العربي

إن وصول الجنرال غورو إلى بيروت في (١٨ تشرين الثاني ١٩١٩) على رأس (٣٠٠٠٠) جندي زاد من حدة التناقضات بين المواقف الداخلية. فقد اثار وصوله فرح وابتهاج المطالبين بدولة لبنانية أو سورية محمية من فرنسا، وقلق واضطراب التيار القومي «العروبي» المطالب باستقلال سورية.

بالنسبة للموقف الأول عبر عن نفسه بتنظيم المظاهرات المؤيدة لفرنسا في العديد من المناطق التي تتواجد فيها عناصر كاثوليكية ومارونية. بينما تميزت ردة فعل الموقف الآخر بالاحتجاج والسخط والدعوة لمقاومة الاحتلال الاجنبي. كتبت «المفيد» الصحيفة «البيروتية» ناقلة صدى هذا الموقف: «ان وصول الجنرال غورو على رأس (٣٠ الف جندي) يظهر لنا بما فيه الكفاية سوء نوايا الدول الكبرى. أن واجبنا يدعونا لطرد الاجنبي بالقوة».

كانت مهمة الجنرال غورو تتحدد وفق «تمنيات أهل الصناعة والتجارة في ليون» في السيطرة الكاملة على سورية، ومنع أي تدبير من شأنه عرقلة المشاريع الاقتصادية الكثيرة التي ابتدأت تنتهيا لها الشركات الفرنسية. يعني ذلك الأسراع في القضاء على «التيار القومي» الذي نبه بول هوفلين إلى خطره، وسحق مشروع حكومة دمشق في المهد. لم تكن المسالة تنحصر إذن في تطبيق اتفاقية سايكس - بيكو فحسب، بل أن ثمن فلسطين والموصل عند بريطانيا كان يقابل داخلية سورية عند فرنسا وهي حقيقة تم اخراجها عبر صيغة «استبدال القوات الانجليزية بالقوات الفرنسية».

كيف تحددت شتى مواقف الاطراف حينها؟ موقف فيصل الذي توجه نحو أوروبا آنذاك للتباحث في هذا الشأن مع كليمنصو؟ المؤتمر السوري والحركة الشعبية لا سيما في المناطق التي ستلحق بلبنان؟ الحكومة الفرنسية واصدقاؤها في الداخل؟

بالنسبة لفيصل، تميز موقفه كما هو الحال بالنسبة للمرحلة الأولى من مباحثاته بالتردد والتراجع والضياع في شباك السياسات الامبريالية. فقد روت أخبار نقلتها يومذاك صحيفة «لسان الحال» «أن الأمير فيصل اقترح تشكيل لجنة حربية تتألف منه، ومن نائب انجليزي، ونائب فرنسي، ونائب أميركي، على أن تجتمع اللجنة في لندرا لتدارس الاحتياطات التي يجب اتخاذها في القريب العاجل، نظراً للنتائج التي ربما تقع على أثر انسحاب الجيوش الانجليزية من سورية». وجاء تردده واضحاً في تصريحه التالي: «أن العرب كان كل أعتمادهم على انكلترا، فانسحاب (١٠٠) ألف جندي انجليزي مما يجعل الحالة موجبة للاهتمام، إلا إذا ايقن السكان بأن استبدال الجيوش المذكورة بالجيوش

الفرنسية لا يؤول إلى اقتسام البلاد، ولا إلى تقرير المصير النهائي». وأضاف: «أن بريطانيا العظمى قبلت مبدئياً هذا الإقتراح، وأنه سيقدم إلى باريس بدعوة من المسيو كليمنصو للمباحثة في هذه المسألة».

وكان أن اسفرت مباحثاته مع كليمنصو اخيراً عن «اتفاق سري» جرى بتاريخ (٦ كانون الثاني ١٩٢٠) جاء فيه:

١ ـ «تعد الحكومة الفرنسية بتقديم المساعدة للشعب السوري وبضمان استقلاله».

٢ ـ «يطلب الأمير فيصل من الحكومة الفرنسية وحدها دون غيرها تعيين مستشارين ومعلمين وتقنيين لتنظيم جميع الادارات المدنية والعسكرية، ولتولي بعض الدوائر في هذه الادارات مثل المالية والاشغال العامة».

٣ ـ يكون للأمير فيصل في باريس ممثل مفوض يعمل تحت أمرته، وممثل في لندن وروما وواشنطن ضمن اطار السفارة الفرنسية في هذه العواصم. أما في غيرها من البلدان فان القناصل الفرنسيين سيرعون مصالح السوريين.

٤ ـ يعترف الأمير باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

٥ـ يسهل الأمير تشكيل ادارة مستقلة لدروز حوران داخل الدولة السورية.

٦ ـ تقدم سورية إلى فرنسا كل عون عسكري في جميع الحالات.

٧ ـ يعترف باللغة العربية لغة رسمية في الإدارة والمدارس. تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانية.

٨ ـ تكون دمشق عاصمة سورية، ويقيم المفوض الفرنسي السامي في حلب».

على أن هذا الاتفاق لم يرض لا الآمال الاستعمارية الفرنسية المعلقة على الجنرال غورو ومهمته، ولا الطموحات القومية العربية التي كانت قد بدأت بالتعبير عن نفسها بعنف في عدد من المناطق السورية، وبشكل خاص في تلك المناطق المحتلة من قبل الجيش الفرنسي. واشتدت وطأة المعارضة الفرنسية، فاضطر كليمنصو أن يستقيل في (١٧ كانون الثاني ١٩٢٠)، وانتخب بدلاً منه ميلليران.

هذا، وكانت قرارات مؤتمر سان ريمو (٢٥ نيسان) بوضعها سورية نهائياً تحت الانتداب الفرنسي قد اعطت الضوء الاخضر الكبير للجنرال غورو أن يتابع مشروع تصفيته للحركة العربية تحت ستار دولي ومباركة انجليزية. في ذات الوقت ارسلت الحكومة الفرنسية إلى غورو فرقاً عسكرية سنغالية لاستعجال حسم مسألة الكيان العربي في دمشق.

عاد فيصل وكان الموقف الداخلي قد تخطى كل محادثاته في أوروبا، وكانت أخبار اتفاقه مع كليمنصو قد تسربت من الصحف الأجنبية إلى الصحف المحلية، فكتبت لسان الحال في (١٣ كانون الأول ١٩١٩) : «أن الأمير فيصل وقع اتفاقاً يقضي بأن تحتل الجنود الفرنسوية المنطقة المخصصة بالإدارة الفرنسوية مباشرة بدلاً من جنود الشريف، وبأن يستعين بخدمة ذوي الخبرة من الفرنسويين للحصول على المساعدة الفنية اللازمة في المنطقة الواقعة تحت نفوذ فرنسا والمذكور في معاهدة (١٩١٦)».

لذلك كانت النقمة على أشدها تجاه فيصل. ولم يستطع هذا الأخير إلا أن ينصاع للتيار القومي السائد، فلم يشر في خطابه أمام لجنة الدفاع ولا بكلمة عن هذا الاتفاق، بل أكد على صعوبة الموقف بعد انسحاب الولايات المتحدة من المؤتمر، وكرر التأكيد على الاستقلال ورفض الوصاية.

كان الوضع الداخلي إذن يتجه بقوى الحركة القومية نحو اتخاذ مبادرة تستبق «المحادثات» وقرارات «الدول الكبرى» وخطوات غورو اللاحقة. تمثلت المبادرة في قرار المؤتمر السوري الذي انعقد في (٨ آذار ١٩٢٠) وضم ممثلين عن جبل لبنان والمناطق التي ستلحق به.

واعلن القرار استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين، استقلالاً تاماً لا شائبة فيه، على الاساس المدني النيابي، وحفظ حقوق الاقلية، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم ـ اختيار الأمير فيصل ملكاً دستورياً على سورية واعلان انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث... ـ ادارة مقاطعات هذه البلاد على طريقة اللامركزية الادارية، وعلى أن تراعى اماني اللبناني الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي... ـ المطالبة باستقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي ـ اقتصادي».

ماذا كانت الردود في جبل لبنان وفي الوسط الكاثوليكي والماروني بالذات؟

منذ التغيير الذي حصل في الحكومة الفرنسية وتسلم ميلليران الرئاسة، وفي مجرى الانتفاضات المسلحة التي قامت هنا وهناك وطالت بردود فعلها الفئات الاقلية الموالية لفرنسا كانت مواقف المنادين «بتكبير لبنان» في ظل الحماية الفرنسية، قلقة وغير واثقة من المصير. لذا قامت فكرة ارسال وفد ثالث إلى باريس يؤكد على مطالب الوفدين السابقين.

في (٢ شباط ١٩٢٠) توجه نحو باريس وفد لبناني

مؤلف من المطران عبد الله الخوري النائب البطريركي، وتوفيق ارسلان، واميل اده، ويوسف الجميل، ليقوم بهذه المهمة.

وتظهر «لسان الحال» قلقها على «المصير» فتدعو حيال الاستعدادات القائمة لعقد المؤتمر السوري وانتخاب فيصل ملكاً، إلى ملاحقة الوفد اللبناني في باريس وحثه، مؤكدة على حراجة الموقف وصعوبته ومذكرة «بالمخاطر» المحيقة «يقولون لا أمل في لبنان الكبير، ولا أمل في البقاع إلا بقاع العزيز، ولا أمل بالحصول على مرفأ لا بيروت ولا طرابلس ولا صيدا، إلا جونيه والدامور، فإذا كان هذا القول صحيحاً فكيف يعيش لبنان؟...».

وبعد انعقاد المؤتمر السوري في (٨ آذار) وإعلان الاستقلال الرسمي للمملكة العربية الجديدة، توالت ردود الفعل السريعة من جهة بعض اعضاء مجلس الادارة والكنيسة المارونية والسلطة الفرنسية. فصدر عن مجلس الادارة بيان يتضمن بنوداً خمسة.

١ ـ الاحتجاج على مناداة فيصل ملكاً على سوريا.

٢ ـ الاحتجاج على اللبنانيين الموجودين في الشام (الوفد إلى المؤتمر السوري).

٣ ـ اعلان استقلال لبنان الكبير بمساعدة فرنسا.

٤ ـ تأليف لجنة للبحث في درس القانون الأساسي لحكومة لبنان الكبير.

٥ ـ البحث في كيفية نشر العلم اللبناني وكيفية شكله.

وفي (٢٢ آذار) نظم مهرجان خطابي في بعبدا ضم وفوداً شعبية مارونية تحمل علماً مثلث الألوان (العلم الفرنسي تتوسطه ارزة)، كان قد اقر «علماً رسمياً» للبنان ـ الكبير، وعزم على رفعه فوق سراي بعبدا.

ألقى حبيب باشا السعد كلمة استعاد فيها الاصرار على استقلال لبنان، ورفض اتباعه لسورية، وأكد على الاحتجاجات السابقة. وكانت السلطة الفرنسية قد تمثلت «بالكومندان لابري» الذي «طمن الحاضرين وقرأ عليهم نبأ برقيا واردا من ميلليران يسكن به خواطر اللبنانيين. ويؤكد أن الحركة الداخلية لا تؤثر بشيء على مساعي الوفد اللبناني في باريس، وأنه يؤيد ما كان المسيو كليمنصو وعد به اللبنانيين بواسطة وفدهم البطريركي».

هذا، وكان الوضع العسكري في البلاد يزداد توترا بازدياد نشوء مظاهر حرب العصابات في «المنطقة الغربية». مما حدا بالجنرال غورو إلى التفكير بانشاء «ميليشيا سورية» محلية تتألف من المتطوعين بين الاهالي وتشارك في التصدي « لأعمال الشقاوة». من أجل ذلك صدر عن الجنرال غورو قرار في (١٤ شباط) جاء في حيثياته: «لما كان هناك ضرورة لمنع أعمال الشقاوة التي تنتشر حالياً في بعض نواحي «المنطقة الغربية»، ولما كان مهماً أن تكون البلاد بنفسها مسؤولة عن ذلك عبر شرطتها الخاصة، ولما كان معروفاً أن قوى الشرطة والجندرمة الحالية غير كافية، فانه بناء على اقتراح المفوضية التي اجتمعت لهذا الشأن في (٢٦ كانون الثاني) و(١٠ شباط)، يقرر الجنرال غورو... ما يلي:

مادة ١ : ينشأ في «المنطقة الغربية» تحت اسم «الميليشيا السورية» فرق عسكرية مختلطة، تتألف من متطوعين فقط.

مادة ٢: ان العدد الفعلي لهذه الميليشيا يتحدد في كل سنجق كما يلي:

سنجق اللاذقية ٥٥٠ عنصراً.

سنجق طرابلس ٥٥٠ عنصراً.

سنجق صيدا ٢٠٠ عنصر.

هذا القرار كان يعني عملياً تنظيم العناصر المارونية والمسيحية الموالية لفرنسا «رسمياً»، ودفعها لمواجهة الحركة المدنية للاحتلال الفرنسي، والتي تتميز بقاعدة جماهيرية اسلامية واضحة. وهناك أمثلة عديدة تذكر في هذا الصدد من قرى جبل عامل وضواحي صيدا يشير إليها بعض المؤلفين المعاصرين للاحداث.

هذا الموقف سوف يكفي لاعطاء النضال المعادي لفرنسا صبغة «صليبية» ووجهة طائفية محلية. وكان جبل عامل المنطقة الرئيسية التي اتخذ فيها النضال ضد الاحتلال الفرنسي شكل صراع محلي بين الشيعة وبعض سكان القرى المسيحية. فقد تطوع عدد من ابناء هذه القرى في الميليشيا «المختلطة»، واستحصل عدد آخر على اسلحة فرنسية بحجة «حماية» قراهم، وقاموا باستفزاز أهل المنطقة.

في هذا الوقت كانت الاعمال العسكرية في جبل عامل قد اتخذت إلى حد ما اشكال «عصابات» منظمة، وبرزت قيادات محلية كأدهم خنجر في منطقة الشقيف، وصادق حمزة في منطقة بنت جبيل، وتعرضت بعض القرى المسيحية: الجديدة (مرجعيون)، دير ميماس، عين ابل، إلى أعمال انتقامية، كما تعرض تنقل القوات الفرنسية إلى كمائن ناجحة في عدة أماكن.

ان الاحداث التي عصفت بجبل عامل خلال شهر أيار، واوائل حزيران، والتي اتخذت بشكل اساسي طابع التصدي «لأنصار فرنسا» المحليين شكلت ذريعة في يد السلطة الفرنسية لتجريد حملة عسكرية على جبل عامل، لتصفية الثوار وضرب الانتفاضة في مهدها. وبحجة «وضع حد للفوضى» في البلاد و«حماية المسيحيين». قام الكولونيل نيجر على رأس (٤٠٠٠)

جندي فرنسي يعاونهم، أدلاء ومتطوعون، «الأنصار» المحليون، بحملة «طافت جميع قرى الشيعيين»، فاحتلتها واحرقت بيوت بعضها، واعتقلت المئات من «المتهمين» بمساندة الثوار. كتبت «لسان الحال» مدافعة عن هذه التدابير: «على انه خلافاً للنمائم التي اشتهرت، لم يحرق غير قسم من قرية بنت جبيل، وهو القسم الذي أعد سكانه المذبحة (يقصد مذبحة عين أبل)، واما في بقية القرى فلم تحرق غير بيوت زعماء العصابات وقد قتل في المعركة عدد كبير من اللصوص، واعدم الذين قبض عليهم والسلاح في ايديهم رمياً بالرصاص».

واعتبرت السلطة الفرنسية أن «الطائفة الشيعية بجملتها» مسؤولة عما جرى، ففرضت عليها غرامة قدرها (١٠٠ ألف جنيه)، واجبرت اعيانها وزعماءها أن يوقعوا في اجتماع مذل في صيدا تعهداً يقضي «بتحمل أثقال التعويضات عن الخسائر» التي سببتها الاحداث. وحكمت على العديد من الثوار والزعماء بالنفي والاعدام ومصادرة الاملاك.

بيد أنه بعد حملة نيجر كان يتضح للسلطة الفرنسية أن تصفية جيوب الثورة في «المنطقة الغربية» نهائياً لا يمكن أن يتم إلا عبر تصفية النواة التي نشأت في دمشق، والتي التفت حولها بقية التحركات في المناطق الأخرى.

في هذا الوقت كانت حكومة دمشق الجديدة تحاول أن تعطي لاستقلالها السياسي المعلن بعض الركائز الاقتصادية، فأسست جمارك داخلية على الحدود، واستوفت زيادة على الرسوم (١٢٪)، كما وضعت نقداً سورياً خاصاً بالبلاد.

وكان هذا من شأنه أيضاً أن يجعل من موضوع تصفية هذا الكيان العربي في دمشق أمراً ملحاً وعاجلاً، لا سيما بالنسبة لمطالب تجار وصناعيي ليون.

لكن ما كان يزعج غورو هو امتداد الثورة التركية إلى كيليكيا نفسها. إذ اشتعلت الجبهة في كانون الثاني (١٩٢٠)، من مرسين إلى أورفه على امتداد (٤٠٠) كلم. وكان هذا من شأنه أن يهدد النفوذ الفرنسي لا في كيليكيا فحسب، بل في سورية أيضاً. لا سيما بعد أن ترددت أخبار محاولات تجري لتشكيل جبهة تركية - عربية مشتركة ضد الاحتلال الفرنسي. هذا ما دفع الجنرال غورو لعقد هدنة مع اتاتورك، كي يتفرغ كلياً بعدها لتصفية كيان دمشق والمقاومة العربية وفرض برنامج تجار وصناعيي مدينة ليون على الحكومة العربية.

في اوائل تموز كانت الحكومة الفرنسية قد قررت السير نحو دمشق لحسم الموقف، فمنع الجنرال غورو فيصلاً من السفر إلى أوروبا في (٥ تموز). وطلب منه قبول المطالب التالي: - أن تضع الفرق الفرنسية يدها على خط سكة الحديد رياق - حلب. - الاعتراف بالانتداب الفرنسي على سورية. - الغاء الخدمة العسكرية وتسريح الجيش. - ايقاف ومعاقبة من يشترك في الحملة الاعلامية المعادية لفرنسا.

في (١٢ تموز) وقبل تلقي الرد من فيصل أمر غورو باحتلال المعلقة ورياق لاجتياح البقاع على طريق دمشق. في (١٤ تموز) وجه غورو إلى حكومة فيصل انذاراً يتضمن الشروط السابقة مع طلب بقبولها كلياً أو رفضها كلياً قبل منتصف ليل (١٨ تموز)، وهو موعد مدده غورو (٤٨) ساعة.

قبل فيصل الشروط واعلن استعداده هو وبعض اعضاء حكومته الدخول في مفاوضات مع الجنرال الفرنسي. وكعلامة على «حسن نيته» أمر بتسريح الجيش. في هذا الوقت كانت المظاهرات الشعبية في دمشق ترد بعنف على هذا الاستسلام، وتتهم فيصل وحكومته بالخيانة، وتطالب بتوزيع السلاح على الشعب، وتنظيم المقاومة، وتهاجم مستودعات الاسلحة حيث اطلق عليها النار.

على كل حال لم يكن غورو ليريد أن يدخل دمشق بدون ضجة، ولا فرض شروطه «سليما» بعد أن تلقى سيلاً من الانتقادات على الهدنة التركية بشأن كيليكيا. كان يريد أن يغطي هذه الهدنة التي اعتبرت «تراجعاً» و«هزيمة» «بانتصار عسكري» وضجيج اعلامي يرافق دخوله إلى دمشق.

في الساعات الاخيرة بذلت محاولات عديدة ودون جدوى، لحمل غورو على ايقاف زحفه. في هذه الساعات التي يصفها ساطع الحصري بدقة متناهية. كان وزير الحربية يوسف العظمة يقرر المقاومة، فيجمع بعض المتطوعين المدنيين، وما تبقى من الجيش بعد تسريحه، ويتمركز في وجه الجيش الفرنسي الزاحف عند ميسلون. كان هؤلاء يعلمون أن ذخائرهم لن تسمح لهم بالصمود في المعركة أكثر من ساعة ضد الآلة العسكرية الكبيرة التي كان يملكها الجيش الفرنسي، ولكنهم كانوا مع ذلك مصممين على القتال وعلى «الموت بشرف».

في (٢٤ تموز) كانت المجابهة غير المتكافئة. فقضي على المقاومة واستشهد يوسف العظمة، كما استشهد معظم ضباطه وجنوده. في اليوم الذي تلاه دخل الجيش الفرنسي دمشق، وسار فيصل مع عدد من مساعديه طريق المنفى، ليصار إلى تتويجه من قبل الانجليز ملكاً على العراق في (٢٣ آب ١٩٢١).

اصول الدين يجب ان تكون يقينية ولا يكفي فيها غلبة الظن

صدر في بيروت كتاب من تاليف سليم الهلالي يتهجم فيه على من يقول بان العقائد يجب بناؤها على اليقين ولا تكفي فيها الادلة الظنية.

وقد كتب المؤلف في مقدمة الكتاب ص ٩ العبارة التالية: (ومن وجد في عملي هذا خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يألُ جهدا في نصحي بالتي هي احسن للتي هي أقوم، فإن النصح شرعة لمن صلحت نيته، وصفت سريرته وطويته).

ونحن قد وجدنا في الكتاب خيراً وحمدنا الله، ووجدنا فيه غير ذلك وها نحن نحاول تقديم ما يوفقنا الله إليه من نصح له ولمن قرأ كتابه. ونسأل الله أن يجعله ويجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وقبل الدخول في مناقشة الموضوع نود أن نلفت نظر المؤلف الكريم إلى أنه يحمل في نفسه حقداً على إخوانه الذين اختلف معهم في الرأي، وقد ظهر هذا الحقد في قوله ص ٦ من الكتاب:

(إن هذه الكلمة ـ يقصد كلمة أن خبر الآحاد لا يكفي لإثبات العقيدة ـ تحمل في ثناياها مؤامرة خبيثة تسعى حثيثا للفتك بعقائد الإسلام). وظهر في قوله ص ١٢٦: (أليس هذا هو النفاق بقضه وقضيضه)، وظهر في اماكن أخرى كثيرة من الكتاب. ونكتفي بأن نذكره بقوله تعالى: **﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾**.

ونحن في مقالنا هذا لسنا في صدد مناقشة الكتاب نقطة نقطة بل سنعرض لبعض المسائل منه فقط. يقول المؤلف ص ٣٩: (وأما أصله وهو الإيمان بالله ورسوله فإنه يشرع بناؤه على التفكير والنظر في ملكوت الله، ولكن إذا آمن رجل ونطق بالشهادتين دون أن يفعل ذلك فإن إيمانه مقبول وهو معدود من المسلمين، بل إن الإسلام يقبل إسلام من آمن كرها كما روى البخاري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**» وفي رواية: «**عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون**»، بل إن كثيراً من قبائل العرب أسلمت متابعة وتقليداً لأميرها عندما آمن، وما إسلام عامة قبيلة الأوس في المدينة ببعيد عن سمع وبصر النبي ﷺ. ولقد أرسل النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام قائلاً: «**أسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين**». وما ذلك إلا لأن الرسول ﷺ يعلم أن الناس تبع لسادتهم، وأن شأن الناس التقليد، والقليل الذي يستقل بالبحث والنظر) انتهى بحروفه.

المؤلف يقول بأن من أعلن إيمانه تحت الإكراه فإنه مقبول عند الله ويدخل الجنة.

ويقول بأن من ينطق بالشهادتين دون تفكير أو نظر فهو مقبول عند الله، أي هو يعتبر الإيمان بالله ورسوله عن طريق الوراثة والتقليد دون تفكير ونظر هو إيمان لا غبار عليه. ويعتبر أن بناء الإيمان على التفكير والنظر جائز وليس واجباً. وهو يقول بأن إسلام جميع صحابة رسول الله ﷺ من قبيلة الأوس كان إيمان تقليد ومتابعة لأميرهم. ويعتبر أن الرسول ﷺ أقر ايمان التقليد.

هذه الآراء خطرة، وتتصادم مع النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وتتصادم مع ما اتفق عليه جمهور أهل العلم من المسلمين.

ولننظر كيف فهم المسلمون الإيمان كي نستطيع أن نحكم على قول من قال بأن ايمان المكره مقبول عند الله. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره (ج ١/ ص ٤٠): [فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً. هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعا].

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ في لسان العرب: [وحدّ الزجّاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي، ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاكّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب. وفي التنزيل العزيز: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ أي بمصدق. والإيمان: التصديق. وفي التهذيب: وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيمانا، فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق. قال الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ الآية، قال: وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، والإسلامُ إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي، ﷺ، وبه يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقادٌ وتصديقٌ بالقلب، فذلك الإيمان الذي يقالَ للموصوف به هو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاكّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن وهو المسلم حقا، كما قال الله عز وجل: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾ اي أولئك الذين قالوا إنّا مؤمنون فهم الصادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق، فذلك الذي يقول أسلمتُ لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صدّيقا، لأن قولك آمنت بالله، أو قال قائل آمنت بكذا وكذا فمعناه صدّقت، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال: ﴿**ولمّا يدخل الإيمانُ في قلوبكم**﴾ أي لم تصدقوا إنما اسلمتم تعوذاً من القتل، فالمؤمن مبطنٌ من التصديق مثلما يُظهر، والمسلم التام الإسلام مظهرٌ للطاعة مؤمنٌ بها، والمسلم الذي أظهر الإسلامَ تعوذا غيرُ مؤمن في الحقيقة، إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين] انتهى قول ابن منظور.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (ج ١/ ص ٤٩): [واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق بالشهادتين].

ويكفينا قول الإمام النووي هذا وهو اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن المقبول عند الله ليس هو ذاك الذي ينطق بالشهادتين ويظهر الإيمان تحت الإكراه، كما قال مؤلف كتاب الأدلة والشواهد.

أما استشهاد المؤلف بحديث رسول الله ﷺ: «**عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون**» أو حديث: «**عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**» فهو استشهاد في غير محله، فالحديث يصف حال كثير من الناس يكونون في بعض مراحل حياتهم ضد الإسلام ويحاربون الإسلام والمسلمين، ثم ينتصر عليهم المسلمون، ويعيشون رغم أنوفهم في ظل الإسلام، ثم يشرح الله صدورهم للإسلام ويوفقهم للإيمان. وهذا هو حال غالبية أهل مكة عند الفتح، وغالبية القبائل التي حاربها المسلمون بناءً على قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**». وكان مشركو العرب بين أمرين: إما الإسلام وإما القتل ولم تقبل الجزية من مشركي العرب إلا من أهل الكتاب. فالذين اسلموا من هؤلاء وحسن إسلامهم فهم الذين يقادون إلى الجنة في السلاسل، وأما الذين تظاهروا بالإسلام تعوّذاً من القتل فقط، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يصدقوا بالله ورسوله فهؤلاء لا يقادون إلى الجنة بل إلى النار، وهؤلاء من المنافقين. قال النووي في شرح صحيح مسلم (ج ١/ ص ١٤٧): [إجماع الأمة على إكفار المنافقين وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين، قال الله تعالى: ﴿**ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله**﴾].

وكذلك فإن ما تورط فيه المؤلف من وصف إسلام عامة قبيلة الأوس بأنه كان تقليداً لأميرهم ومتابعة له ولم يكن عن فهم للإسلام وقناعة به، ليدل على عدم فقهه للمسألة.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس للدخول في الإسلام، وأصحابه رضوان الله عليهم كانوا يدعون الناس للدخول في الإسلام. ولا بأس أن يدخلوا في الإسلام ابتداءً متابعة لأميرهم، أو خوفاً على دمائهم وأموالهم، أو طمعاً في جاه أو مال كالمؤلفة قلوبهم.

ولكن بعد هذا الدخول الابتدائي في الإسلام هل بقيت قبيلة الأوس على إسلامها تقليداً لأميرها ومتابعة له بحيث لو ارتد أميرها لارتدت معه. معاذ الله أن يوصف صحابة رسول الله وأنصاره هذا الوصف الظالم. وإذا كان رسول الله ﷺ، يقرّ الداخلين في الإسلام ابتداءً على دخولهم بغض النظر عن دوافعهم لهذا الدخول، فهل كان يقرهم أن يستمروا بدوافع غير الإيمان بالله ورسوله وكتابه؟ معاذ الله أن ننسب إلى رسول الله ﷺ أنه أقر الإقامة على التقليد في أصول الدين، أو أنه أقر الناس أن يظلوا تبعاً لسادتهم في أصول الإيمان والاعتقاد.

وهذه آيات القرآن الكريم تذم تقليد السادة أو تقليد الآباء في أمور الدين دون تفكر ونظر، قال تعالى: **﴿وقالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا﴾**. وقال تعالى: **﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ● وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ● قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ● قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾** وقال تعالى: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ● أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾**.

وهل يصح بعد ذلك أن نقول بأن رسول الله ﷺ أقرّ التقليد في أصول الدين وهل يبقى المؤلف على قوله: (وما ذلك إلا لأن رسول الله ﷺ يعلم أن الناس تبع لسادتهم، وأن شأن الناس التقليد)؟

وإذا كان الإسلام يطالب أصحاب العقائد الأخرى بالبراهين على عقائدهم فهل يقبل من أتباعه أن يأخذوا عقيدتهم دون برهان. فهذا قوله تعالى: **﴿أإله مع الله ● قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** وقوله تعالى: **﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾**، وقوله تعالى: **﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون﴾**.

فالمسلم الذي يطالب الآخرين بالدليل على عقيدتهم يتحتم عليه أن يكون هو يملك الدليل على عقيدته **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾**.

وهذا الدليل سماه القرآن مرةً برهاناً وسماه مرة علماً، والبرهان والعلم لا يطلق إلا على الدليل القطعي. وما كان من دليل أقل مرتبة من الدليل القطعي فإنه لا يسمى برهاناً ولا يسمى علماً.

هناك أصول في الدين يجب على المسلم وجوباً عينياً أن يعرفها، ولا يكفي أن يعرفها شيخه وهو يقلد فيها شيخه تقليداً أعمى. فالإيمان بالله والإيمان برسول الله والإيمان بكتاب الله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بسائر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة سواء كانت من العقائد أو الأحكام يجب على كل مسلم مكلف أن يعرفها ويقتنع بها عن تفكير ونظر بالمقدار الذي يستطيعه. ولا يجوز لأي مسلم مكلف أن يأخذ هذه الأصول أخذ تقليد.

وقد اختار الآمدي ـ رحمه الله ـ في الإحكام (ج ٤/ ص ٣٠٠) [عدم جواز التقليد في المسائل الأصولية المتعلقة بالاعتقاد في وجود الله تعالى، وما يجوز عليه، وما لا يجوز عليه، وما يجب له، وما يستحيل عليه] وفي استدلاله على ذلك قال: [إن النظر واجب. وفي التقليد ترك الواجب، فلا يجوز. ودليل وجوبه أنه لما نزل قوله تعالى: **﴿إن في خلق السموات والأرض﴾** الآية. قال عليه السلام: «**ويل لمن لاكها بين لَحْييه ولم يتفكر بها**» توعد على ترك النظر والتفكر فيها فدل على وجوبه. الثاني أن الإجماع من السلف منعقد على وجوب معرفة الله تعالى، وما يجوز عليه، وما لا يجوز... الثالث أن التقليد مذموم شرعاً، فلا يكون جائزاً: غير أنّا خالفنا ذلك في وجوب اتباع العامي للمجتهد، وفيما ذكرناه من الصور فيما سبق. لقيام الدليل على ذلك: والأصل عدم الدليل الموجب للاتباع فيما نحن فيه، فنبقى على مقتضى الأصل وبيان ذم التقليد قوله تعالى حكاية عن قوم: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون﴾** ذكر ذلك في معرض الذم لهم].

الآيات ذمت التقليد، وهذا الذم يعم التقليد في الأصول والتقليد في الفروع، لأنه جاء بلفظ عام هو كلمة (آثارهم) وهي جمع مضاف فهي من ألفاظ العموم. وكذلك كلمة (ما) في قوله تعالى: **﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾** هي من ألفاظ العموم. والعام يبقى على عمومه ما لم يرد دليل تخصيص. وقد ورد دليل يستثني الفروع سواء كانت من الأحكام العملية، أو كانت من الأفكار التفصيلية الخلافية الملحقة بالعقائد. أما أصول العقائد والأحكام الشرعية المعلومة من الدين

بالضرورة فإنها لم تُستثنَ ولذلك فلا يجوز التقليد فيها لأن الذم لم يرفع عنها.

وقد وردت أدلة كثيرة خصصت عموم الآيات التي تذم التقليد، وقد ذكرت كتب الأصول هذه الأدلة، ونحن نكتفي بإيراد واحد منها كما أورده الآمدي في الإحكام (ج ٤/ ص ٣٠٧): [الاجماع، فانه لم تزل العامة في زمن الصحابة والتابعين قبل حدوث المخالفين يستفتون المجتهدين، ويتبعونهم في الأحكام الشرعية، والعلماء منهم يبادرون إلى إجابة سؤالهم من غير إشارة إلى ذكر الدليل، ولا ينهونهم عن ذلك من غير نكير، فكان إجماعا على جواز اتباع العامي للمجتهد]. وأضاف الآمدي (ج ٤/ص ٣١١): [القائلون بوجوب الاستفتاء على العامي، اتفقوا على جواز استفتائه لمن عرفه بالعلم، وأهلية الاجتهاد، والعدالة... وعلى امتناعه فيمن عرفه بالضد من ذلك].

وإذا كان المرء يسوغ له أن يرث الدين عن أبويه دون نظر أو تفكر ويقلدهما في ذلك تقليداً أعمى، ويكفيه أن ينطق بالشهادتين كي يصبح مسلماً مؤمناً من أهل الجنة، فلماذا لا يسوغ لمن وُلد لأبوين غير مسلمين أن يقلدهما. الرسول ﷺ يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه**» والفطرة هنا لا تعني الإسلام، أي أن الولد لا يولد مسلماً، بل يولد على البراءة الأصلية، والله سبحانه فطر فيه قابلية الاهتداء، ولا يعذبه إلا إذا أرسل له رسولاً ورفض الرسالة بعد البلاغ المبين.

لماذا يكون الشخص الذي يولد في بيت مسلم معفى من التفكير، بينما يكون الذي يولد في بيت غير مسلم غير معفى؟ وهل تبرأ ذمة هذا الذي يولد في بيت مسلم إذا قلد أبويه أو قلد مجتمعه أو قلد شيخه في البدع والخرافات التي يرفضها الإسلام؟

وماذا نفعل بهذا السيل الجارف من الآيات القرآنية التي تحض على النظر والتفكر والاعتبار بآيات الله؟ فقوله تعالى: ﴿**لأولي الألباب**﴾، ﴿**لأولى النهى**﴾، ﴿**أفلا تبصرون**﴾، ﴿**لقوم يسمعون**﴾، ﴿**لعلهم يتفكرون**﴾، ﴿**لقوم يعقلون**﴾، ﴿**ألم تروا**﴾، ﴿**لآيات للعالمين**﴾، ﴿**إن في ذلك لعبرة**﴾، هذه الآيات وما شاكلها تتكرر مئات المرات، وهي تدل بشكل جازم على أن النظر والتفكير والاعتبار هي أمر واجب على كل إنسان مكلف سواء ولد في مجتمع إسلامي أو غير إسلامي.

والأمر المألوف هو أن الولد ينشأ على دين أبويه لأنه في صغره غير قادر على التفكير والتمييز في هذه الأمور، وهو مفطور على الثقة بوالديه في صغره ويتقبل ما يلقنانه دون مناقشة. ولكن حين يبلغ سن الرشد ويدخل مرحلة التكليف الشرعي يصبح مطالبا شرعا بالنظر والتفكير والتمحيص بحثا عن الحق، وخاصة في الأركان والأصول التي تشكل عقيدته ودينه ووجهة نظره في الحياة، فإن لم يفعل ذلك يكون قد جنى على نفسه، وهذه الجناية إما توقعه في الكفر وتقوده إلى الخلود في النار، إذا تبع أديان الكفر؛ وإما توقعه في المعصية وتجعله يستحق دخول النار إذا كان قد قلّد أبوين مسلمين. المسلم الذي يأخذ دينه أخذاً وراثيا عن تقليد أعمى لا نقول عنه إنه يستوي مع النصراني الذي يأخذ دينه أخذاً وراثيا عن تقليد أعمى، إذ أن هذا كافر مخلد في النار وذاك عاص أهمل فريضة فاستحق أن يعذب بالنار. وربّ قائل يقول: إن المسلم لم يفعل أكثر مما فعل النصراني لأن كلاً منهما قلد أبويه تقليداً أعمى، فلماذا يخرج المسلم من النار ويخلد النصراني فيها؟ والجواب أن المسلم نجا من النار برحمة من ربه تداركته والآخر لم ينل هذه الرحمة لحكمة عند الله لا ندركها ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

يتبع

﴿قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾

عن زينب بنت ابي سلمة عن ام سلمة زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال: «إنما انا بشر وإنه ياتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب أنه صادق فاقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها».

رواه مسلم

هـذه هي قرارات مجلس الأمن التي طـالب الغرب وعـلى راسه امـريكا الـزعمـاء العـرب وزعماء منظمة التحـرير الاعتـراف بها، ووصلت امـريكا إلى مبتغـاها من الحكـام العرب في مؤتمر فاس، وتبعهم مؤخراً زعماء منظمـة التحريـر، ولكن اسرائيل لم تقبـل بها حتى الآن. اليس ذلك من عجائب الامور؟!

قرار رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧.

إقرار مبادىء سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط

إن مجلس الأمن،

إذ يعرب عن قلقه المستمر بشأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط،

وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كـل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان،

وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة، قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة ٢ من الميثاق،

١ ـ **يؤكد** أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامـة سلام عـادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كـلا المبدأين التاليين:

أ ـ انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها(*) في النزاع الأخير،

ب ـ إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب، واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولـة في المنطقة، واستقـلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، حرة من التهديد بالقوة أو استعمالها.

٢ ـ **يؤكد** أيضاً الحاجة إلى:

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة،

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين،

ج ـ ضمان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات من بينها إقامة مناطق مجـردة من السلاح،

٣ ـ **يطلب** من الأمين العام تعيين ممثل خاص ليتوجه إلى الشرق الأوسط كي يجري اتصـالات بالـدول المعنية ويستمـر فيها بغية إيجاد اتفاق، ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه،

٤ ـ **يطلب** من الأمين العام أن يرفع تقريراً الى مجلس الأمن بشأن تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٣٨٢، بإجماع الأصوات.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٣٨٢، بإجماع الأصوات.

يتبع، قرار ٣٣٨ ص ٢٢

قال ﷺ: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم».

معايير السلوك الدولية

تعبير جديد بدأ تسويقه في سوق السياسة الدولية، ذلك هو تعبير «معايير السلوك الدولية» وهذا التعبير (الشعار) هو من اختراع أمريكا وبريطانيا، فامريكا التي نصّبت نفسها وصية على العالم وبشكل خاص على العالم الإسلامي وبقية الدول الصغيرة والفقيرة المنتشرة في افريقيا وامريكا الجنوبية، وبريطانيا التي تشارك أمريكا النزاع أحياناً وتساندها أحياناً اخرى حسب مصلحتها وحرصاً منها على ان تبقى في صفوف الدول الكبرى ذات القرار في العالم تحاول كذلك إيهام الرأي العام بأنها حريصة على (المعايير الدولية للسلوك)، فقد صرح (جيفري هاو) في معرض حديثه عن مبادرة عرفات الخيانية بان «ياسر عرفات قد التزم التزاماً واضحاً بمعايير السلوك الدولية».

والسؤال الذي يرد هنا هو: هل تلتزم كل من انجلترا وامريكا (بمعايير السلوك الدولية) وهل التزمتا بها منذ افتتاح عهد الاستعمار على يد انجلترا واستمراره على يد الدولتين حتى الآن؟ وهل التزمت بريطانيا بمعايير السلوك الدولية حينما شرّدت المسلمين من ديارهم في فلسطين وأقامت دولة لليهود مكانهم؟ وهل التزمت (معايير السلوك الدولية) حينما هدمت دولة الخلافة ومزقتها إلى دويلات ومستعمرات لها ولفرنسا؟ وهل التزمت بمعايير السلوك الدولية حينما اثارت الحرائق في بلاد المسلمين حتى تتغلب على أمريكا وتُبقي سيطرتها على الدول المرتبطة بها؟ أم انها التزمت بتلك المعايير حينما زوّدت الانظمة العميلة لها بالأسلحة الفتاكة بقصد قمع شعوب العالم الإسلامي المتطلعة إلى الانعتاق من السيطرة الاستعمارية البغيضة؟ ثم ماذا عن اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦؟ وماذا عن حرب اليمن؟ وانقلابات العراق، وحرب الخليج وجزر الفوكلاند، والحرب الهندية الباكستانية وتمزيق القارة الهندية؟ أليس ذلك خرقاً فاضحاً لكل المعايير في الدنيا؟

أما أمريكا فما قيل عن انجلترا ينطبق عليها ويزيد، فهي الخصم اللدود لانجلترا في صراعهما على النفوذ في البلاد التي كانت خاضعة كلياً لحكم (بريطانيا العظمى)، ومن جراء ذلك الصراع قامت بإشعال الحرائق في العالم الإسلامي للحلول محل بريطانيا ولا زالت تمارس عملها تحت شعارات مزيفة وأباطيل خادعة، فهي التي تقف وراء معظم الانقلابات التي حصلت (في الشرق الأوسط) منذ الخمسينات وحتى الآن، وهي وراء حرب الخليج، والحرب اللبنانية، وهي وراء الدعم المادي والسياسي للدولة اليهودية التي لم تبق معياراً إلّا وخرقته، وأمريكا التي تدعي الحرص على (المقاييس الدولية) وأمن العالم والسلام فيه ومعزوفة حقوق الإنسان. أمريكا هذه هي التي أشعلت حرب فيتنام بالتواطؤ مع روسيا، وأمريكا هي التي أشعلت حرب الخليج لمنافسة بريطانيا، وصراعها مع بريطانيا على قبرص كان وراء الحرب فيها وتقسيمها، وأمريكا هي التي خفضت أسعار النفط لتضرب الصادرات النفطية البريطانية والشرق أوسطية... وهي وبريطانيا وراء كل مصيبة في العالم الإسلامي.

إن الدول الحاقدة الطامعة في العالم الإسلامي وعلى رأسها كل من بريطانيا وأمريكا، تريد إيجاد (فزّاعة) جديدة تستعملها للتخويف، وتستعملها لتبرير تدخلها في شؤون العالم الإسلامي تحت عنوان (الحفاظ على المعايير الدولية) فهل يفيق العالم الإسلامي ويرد كيدهم إلى نحورهم؟.

النظام المصري يلجأ للحيلة لإحكام سيطرته على دعاة التغيير

لا زال التوتر سائداً في العلاقة بين النظام المصري والجماعات الإسلامية بعد بروز تعاطف جمهور الناس مع تلك الجماعات نتيجة لتصرفات النظام والأكاذيب الاعلامية التي روجها النظام عبر صحفه أثناء المواجهات التي حصلت في بعض المدن المصرية، وقد أحس جمهور الناس مدى التزوير الإعلامي الفاضح خصوصاً وأنهم شاهدوا ما حصل من مجابهات بأم العين فكان ان استعانت الحكومة بنداء لشيخ الأزهر يهاجم الجماعات الاسلامية ويصف عملهم «بالتطرف الديني» وطلب من السكان مساعدة السلطات وتجنب المساجد حيث «يعمل المتطرفون على زرع الفوضى والتمرد» ولكن ذلك الإجراء لم يؤد الى تهدئة الوضع فلجأ النظام إلى حيلة أخرى وهي الإيعاز إلى وزير الأوقاف محمد محجوب (وهو من أقطاب الحزب الوطني الحاكم) بتشكيل تجمع أسماه (المجلس الاسلامي المستقل) ويضم بعض الشخصيات التي تبدو للناس البسطاء أنها غير مرتبطة بالنظام أو أنها طرف حيادي ثالث، وأعضاء المجلس هم: محمد متولي الشعراوي (وزير أوقاف في عهد السادات)، الشيخ محمد الغزالي، الدكتور يوسف القرضاوي، الدكتور محمد الطيب النجار، الشيخ عبد الله المشد، ومهمة ذلك المجلس أن يتولى كتم الأصوات المطالبة بتغيير النظام وإعادة الإسلام إلى الحكم والمجتمع، وقد أكد العلماء الأجلاء دون طلب من أحد أنهم ليسوا وعاظاً للسلطة ولا علماء للشرطة، وذلك خلال إلقاء بيانهم على الناس. وكتب مراسل مجلة «العالم» في القاهرة «ان الشيخ الشعراوي قام بتكفير بعض الذين كانوا يثيرون همهمات في المسجد أثناء إلقاء البيان وقال عنهم انهم ليسوا

منا، بل مندسين علينا» ويتابع المراسل «وقد نجح الدكتور محمد علي محجوب في إقناع المكتب السياسي للحزب الوطني الحاكم بجدوى الحوار مع الجماعات الاسلامية بدلاً من الاعتقال الذي يؤدي إلى تعاطف شعبي أكثر مع افراد تلك الجماعات» وفي مكالمة هاتفية أجراها مراسل «العالم» مع الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الاسلامية أكد انه لا علاقة لجماعته بحادث قتل الضابط في المباحث الجنائية: المقدم عصام شمس الدين، واعتبر عمر عبد الرحمن أن حادث قتل الضابط كان ذريعة لشن حملات اعتقال وتشويه ضد الجماعات الاسلامية، وقد استعان النظام ببعض الفتاوى التي تقضي بخروج الجماعات وبعدها عن الاسلام ليكون ذلك مبرراً أمام الناس لملاحقة وقمع تلك الجماعات.

الأنظمة تتشابه في العالم الاسلامي

النظام في جيبوتي يحارب اللغة العربية: -

وجه ممثل ما يسمونه (بالمعارضة) في جيبوتي رسالة الى إحدى المجلات الاسبوعية يقول فيها: «لقد التزم النظام الجوليدي بمحاربة اللغة العربية منذ توليه السلطة، وأخذ على نفسه عهداً بطمس الهوية الغربية الاسلامية لشعب جيبوتي المسلم وذلك بفرضه قسراً اللغة الفرنسية عليه بدلاً من اللغة العربية... واستعد النظام لاداء هذا الدور القذر نيابة عن أسياده الفرنسيين... وهو يبالغ في تعصبه للفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم بهدف تكريس الثقافة الاستعمارية... والنظام بلغ به الأمر حد الإبعاد المتعمد لكل خريج من الجامعات العربية عن الوظائف الحكومية وغيرها بحجة أنهم لا يجيدون اللغة الرسمية وهي طبعاً الفرنسية». وتعليقاً على ذلك نقول إن كل من يظن أن الاستعمار حمل عصاه ورحل هو واهم وهماً كبيراً، ومن يظن أن هنالك استقلالات هو أكثر وهماً.

الأسلحة الكيميائية

هدد اسحق رابين الدول العربية باستعمال الأسلحة الكيميائية، ومما قاله في تهديده «إن العرب إذا استخدموا الأسلحة الكيميائية مرة فإن إسرائيل سوف تستخدمها مئة مرة إن لم يكن أكثر» وهذا التهديد يُستنتج منه عدة أمور منها: -

١ - أن هنالك دولاً أخرى غير ليبيا (التي تدعي أمريكا انها تحاول تصنيع السلاح الكيميائي) تملك هذا السلاح بما في ذلك اسرائيل وربما دولاً عربية أخرى، لأن تهديد رابين يقول «العرب» ولم يهدد ليبيا فقط.

٢ - بما أن هنالك دولاً غير ليبيا المتهمة تملك أسلحة كيميائية وهذا أمر لا خلاف فيه فلماذا إذن كل هذه الضجة الأميركية الغربية على ليبيا فقط؟

٣ - إن تصريحات رابين وغيره من حكام اسرائيل تعكس جو الرعب الذي يبقى هاجس إسرائيل حكومة وشعباً لأن عدد اليهود الضئيل نسبياً، وعيشهم في بقعة محدودة من الأرض يجعلهم في رعب دائم من الأسلحة الفتاكة التي لا تُبقي لهم أثرا إن استُعملت.

٤ - إن تهديدات اليهود ومحاولة ظهورهم بمظهر القوي المتفوق لا تعبر عن حقيقة واقعهم وإنما هو لرفع معنويات اليهود وهي نوع من الحرب النفسية الوقائية.

٥ - إن الجبن والخوف هما طابع الحكام الذين عناهم رابين بتهديده لدرجة انهم لم يتفوهوا ولو بكلمة، فكانوا عند حسن ظن العدو بهم: الصمت شيمتُهم، والذل دَيدَنهم.

لماذا؟!

الإتجاه الاسلامي في تونس يشيد بانجازات زين العابدين: -

أشاد رئيس حركة الاتجاه الاسلامي راشد الغنوشي بما أسماه (الانجازات الايجابية) التي تحققت في تونس طيلة السنة الماضية أي منذ وصول زين العابدين للسلطة وأضاف ان استمرارية «التغيير الايجابي لا تتم إلا إذا تضافرت جهود قوى الخير والديمقراطية من أجل دفع وتجسيد ارادة التغيير» وأعرب عن أمله في أن «تشهد السنة الثانية للتغيير مزيداً من الدعم لنمط الاجتماع المدني ولأركان النظام الجمهوري وللمسار الديمقراطي». غريب هذا المديح للنظام، والأغرب أن يصدر من زعيم الاتجاه الذي يسمي نفسه اتجاهاً إسلامياً، فماذا يختلف زين العابدين عن بورقيبة؟ إن الفارق الوحيد هو فارق السن، أما الارتهان والتبعية فلم يتغيرا، والحكم بغير ما أنزل الله لا زال هو السائد، فهل دعم النمط الاجتماعي المدني وأركان النظام الجمهوري والمسار الديمقراطي هـ مطالب اسلامية؟ أين الاسلام من هذه المقولات؟ لا يسعنا إلا القول: إتقوا الله في دينكم وفي أمتكم، فالأمانة التي يحملها المسلم غالية ولا ينبغي أن تخضع للمساومة.

سؤال و جواب

سؤال

أ ـ وردت في بعض الكتب عبارة: «إن حمل الدعوة من الفكرة»، ووردت عبارة: «ان كيفيه حمل الدعوة من الطريقة». فما الفرق بينهما؟

ب ـ ووردت عبارة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفكرة»، ووردت عبارة: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الطريقة»، فلماذا هذا التضارب؟

ج ـ أوردتم في مجلتكم قاعدة: «إن ما طلبه الشرع من اجل غيره فهو من الطريقة، وما طلبه من اجل ذاته فهو من الفكرة». هل هذه القاعدة جامعة مانعة؟

د ـ يُخيّل إليّ ان احكام الطريقة اغلبها قطعي، اما احكام الطريقة المتعلقة بعمل التكتل فهي اجتهادية ظنية. هل هذا صحيح؟

هـ ـ هل يجب على الفرد المسلم ان يعمل بجميع الاحكام الشرعية؟ وهل يجب على التكتل الإسلامي ان يعمل بجميع الاحكام الشرعية؟

و ـ هناك قول بان التكتل ياخذ من الفكرة ما يلزمه، اما بالنسبة للطريقة فيجب عليه ان ياخذ جميع احكامها. هل هذا صحيح؟

ز ـ هناك قول بان احكام الطريقة قسمان: قسم يتعلق بالدولة وقسم يتعلق بالكتلة، ولا يوجد شيء من احكام الطريقة يتعلق بالافراد. فهل هذا صحيح؟

هذه الأسئلة جاءت مفرقة، ومع شروحات كثيرة. وقد قمنا باختصارها وتنسيقها. ونسأل الله أن يلهمنا الرشاد.

وقبل أن نجيب عن هذه الأسئلة واحداً واحداً نود أن نعطي ملاحظات عامة تتعلق بهذه الأسئلة كلها، إذ أن هذه الأسئلة تدور حول موضوع واحد هو **«مفهوم الفكرة ومفهوم الطريقة»**.

إن عبارة **«الفكرة والطريقة»** هي إصطلاح فقهي حديث الاستعمال، فإذا رجع الباحث إلى كتب الفقه السابقة لا يعثر عليه. وكذلك فإن هذه العبارة ليست عبارة قاموسية بحيث يجدها الباحث في القواميس أو كتب اللغة. ومن ثمّ فإن واضع هذا الاصطلاح لا يلزم غيره باستعماله، فمن رضي به استعمله ومن لم يرض به فليس لنا عليه حق.

أما مدلول هذا الاصطلاح فانه جزء من الشريعة الإسلامية وهو ملزم للجميع. فالعبرة بالمسمّى الذي تلحقه الأحكام وليس بالاسم الذي يصطلح عليه.

والغرض من وضع الاصطلاح هو الدقة والضبط في التعبير عن المعاني المقصودة مع سهولة التوضيح. أما إذا كان الاصطلاح سيزيد الأمور تعقيداً أو إبهاماً فالأولى تجنبه.

والأسئلة الكثيرة الواردة أعلاه حول «الفكرة والطريقة» تُري أن الاصطلاح زاد الأمور تشويشاً، عند السائل، بدل أن يزيدها دقة وضبطاً.

في الحقيقة ليس من المهم أن يصيب المرء أو يخطىء في التصنيف بين الفكرة والطريقة. فلو قال قائل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفكرة، وقال آخر: بل هو من الطريقة، فإنه لا يترتب على هذا أي اثم أو نقص. وكذلك تصنيف حمل الدعوة أو تصنيف كيفية حمل الدعوة، فإن الاختلاف في التصنيف لا ضير فيه.

والتصنيف المهم هو معرفة حكم الفعل، هل هو فرض أو حرام أو مندوب أو مكروه أو مباح.

فإذا عرف المسلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عليه فقد حصل المطلوب من حيث التصنيف، ولا ضير عليه بعد ذلك إن قال إنه من الفكرة أو من الطريقة. وكذلك إذا عرف أن حمل الدعوة الإسلامية فرض عليه فليس مهما إن وضعه في خانة الفكرة أو خانة الطريقة. وهكذا سائر الأمور.

إن الغرض من إضافة هذا الاصطلاح أي «**الفكرة والطريقة**» إلى البحث الفقهي ليس للتفريق بين الفكرة والطريقة **بل للتفريق بين الطريقة والأسلوب**. ولا بأس من إضافة اصطلاح «**الطريقة والأسلوب**» أيضا وهو مستعمل بالفعل.

لقد لوحظ أن غالبية فقهاء المسلمين المحدثين يخلطون بين ما أنزله الله كحكم شرعي ثابت لا يتغير ولا يتطور بل يبقى هو هو إلى قيام الساعة وبين الأعمال المباحة التي يجوز للمسلم أن يتركها أو يفعلها حسب ظروفه ومصلحته. هذا القسم الأخير هو ما اصطلحنا على تسميته بالأسلوب من أجل الضبط والاختصار.

فمثلاً صار بعضهم (أي الذين يُسمَّوْن بالعلماء) يقول: إن مقصد الشارع هو منع السرقة وحفظ المال. وهذا المقصد يمكن تحقيقه بقطع يد السارق ويمكن بسجنه ويمكن بتغريمه مبلغا كبيرا أو بتأنيبه أو بغير ذلك من الأعمال. فأي عمل نراه حسب ظروفنا محققا لقصد الشارع فنحن نختاره ولسنا مقيدين بالقطع، ولو ورد بالنص لأنه ورد كمثل وليس للحصر به. وكذلك قالوا عن سائر الحدود. وعن الجهاد قالوا بأن مقصد الشارع هو نشر الإسلام وليس القتال. وقد كان القتال هو العمل المناسب لنشر الإسلام في فترة معينة، فإذا وجدنا الآن عملاً أفضل من القتال لنشر الإسلام وهو الدعوة بالفكر والتبشير به مثل المبشرين النصارى نكون قد حققنا قصد الشارع. وكذلك قالوا عن نظام الحكم. قالوا إن قصد الشارع هو وجود راع ينظم أمور الناس ويعدل بينهم ويحميهم. فإذا كان هذا يتحقق بتقسيم البلاد إلى دول كثيرة أو بجعل النظام وراثيا أو ديمقراطيا فلا بأس.

هذا الخلط من هؤلاء بين ما خيرنا الشرع فيه وما جعله لازما إلى يوم القيامة جعل بعض العلماء الحريصين على الشريعة الغراء يقولون بأن هذه الأعمال الشرعية الثابتة من إقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله، وإقامة خليفة واحد يلتزم بنظام الخلافة وغيرها، هي أحكام شرعية ثابتة فهي كالمقاصد تماما. فمقاصد الشارع هي الفكرة وهذه الأحكام التي تنفذ بها هذه المقاصد هي الطريقة، والإسلام هو فكرة وطريقة من جنس الفكرة، وكما تجب المحافظة على الفكرة تجب المحافظة على الطريقة سواء بسواء.

وكمثال على الأسلوب فإن الله سبحانه يقول: **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾**، فنصت الآية على اعداد الخيل، وفهم الفقهاء أن علّة الاعداد هي الإرهاب لأن الآية نصت عليه: **﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** ومقصد الشارع هنا هو الإرهاب ولسنا ملزمين برباط الخيل إذا كان لا يحقق العلة. في هذه المسألة نحن نختار السلاح الذي يناسب العصر ويحقق الغرض ونقوم بالمناورات والأساليب المناسبة.

ونعود الآن للإجابة عن كل سؤال بمفرده:

أ ـ إن كيفية حمل الدعوة هي من أحكام الطريقة (وفيها أيضا أساليب كثيرة) وليست من أحكام الفكرة. إن الكيفيات هي من أحكام الطريقة، فكيفية تنفيذ الفكرة، وكيفية حمل الدعوة، وكيفية حماية الدين كل أحكامها من الطريقة. وكيفية حمل الدعوة الإسلامية سواء كانت من الكتلة أو من الأفراد او من الدولة هي من أحكام الطريقة.

أما حمل الدعوة الإسلامية فهو من الفكرة وليس من الطريقة. وحمل الدعوة هو فكرة، وهذه الفكرة تنفذ بموجب أحكام شرعية معينة وهذه الأحكام من الطريقة.

ب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أحكام الطريقة وليس من أحكام الفكرة. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من كيفية حمل الدعوة. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل فكري من أعمال الطريقة. أما إزالة المنكر باليد فهي عمل مادي من أعمال الطريقة أيضا. وإذا وردت فعلاً عبارة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفكرة، يكون المقصود بها أنها عمل فكري ولكن من أعمال الطريقة.

ج ـ كلا هذه القاعدة ليست جامعة مانعة، فهي ليست تعريفا لكل من الفكرة والطريقة، وليست تعريفاً للفرق بينهما، ولكنها توضح جانبا من جوانب الفرق بينهما. فحين نقول: إن ما طلبه الشرع وطلب القيام به لذاته كان من الفكرة فهذا يشمل العقائد وسائر ما طلب التصديق به، ويشمل العبادات (ما عدا الجهاد) ويشمل الأخلاق والمطعومات والملبوسات والمعاملات، وسواء من ذلك ما كان فرضا أو مندوبا أو مباحا. فالبيع مباح وهو من الفكرة والزكاة فرض وهي من الفكرة وصدقة التطوع مندوبة وهي من الفكرة. وقد ظن بعضهم أن الصلاة كفرض من الفكرة، وكيفية

القيام بها هي من الطريقة، وكذلك ظنوا أن الحج كفريضة هي الفكرة وكيفية أداء المناسك هي من الطريقة. وهذا خطأ فالصلاة كلها من الفكرة، فأحكام الطهارة وأحكام القيام والركوع والسجود والقعود والقراءة وغيرها كلها من الفكرة. وكذلك جميع مناسك الحج من الفكرة. أما الجهاد كفريضة فإنه من الفكرة وأما كيفية القيام به، أي أحكام الجهاد الأخرى فإنها من الفكرة.

د ـ أحكام الطريقة أغلبها ظني وليس قطعياً. أحكام الطريقة تندرج بشكل عام تحت العناوين التالية: نظام الحكم، نظام العقوبات من حدود وتعزير، أحكام كيفية حمل الدعوة، أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحكام القتال، أحكام السياسة الخارجية. وهذه الأحكام غالبيتها اجتهادية ظنية، وقليل منها قطعي. وهي في ذلك مثل أحكام الفكرة المندرجة تحت: النظام الاجتماعي، النظام الاقتصادي ومنه المعاملات والإرث، والعبادات (عدا الجهاد) والمطعومات والملبوسات والأخلاق، والأفكار التصديقية.

هـ ـ الفرد المسلم يعمل بالأحكام الشرعية التي تلزمه أما ما لا يلزمه فلا يعمل به. فمن كان مقتدراً على الحج مثلاً وجب عليه أن يتعلم أحكام الحج وأن يقوم بالحج، ومن كان غير مستطيع فلا يجب عليه أن يتعلم تفصيلات أحكام الحج ولا يجب عليه الذهاب إلى الحج.

والتكتل يقوم كذلك بالأعمال الشرعية التي تلزمه. فما كان واجباً عليه فلا بد أن يقوم به، وحين يقوم به لا بد أن يقوم به على الوجه المشروع، فيجب عليه أن يدرس الوجه الشرعي للعمل.

و ـ التكتل يأخذ من الفكرة ما يلزمه، ويترك ما لا يلزمه حتى يلزمه. وكذلك يأخذ من أحكام الطريقة ما يلزمه ويترك ما لا يلزمه. والدولة لها نفس الوصف. وكذلك الأفراد لهم الوصف نفسه. أي كل يأخذ ما يتعلق بعمله سواء كان من أحكام الفكرة أو أحكام الطريقة.

ز ـ كلا ليس هذا صحيحاً. إزالة المنكر مثلاً باليد واجبة على الفرد وهي من أحكام الطريقة، وكيفية حمل الدعوة بالنسبة للفرد هي واجبة عليه وهي من أحكام الطريقة.

قرار رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣.

طلب وقف إطلاق النار والدعوة إلى تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه

إن مجلس الأمن،

١ ـ **يدعو** جميع الأطراف المشتركة في القتال الدائر حالياً إلى وقف إطلاق النار بصورة كاملة، وإنهاء جميع الأعمال العسكرية فوراً في مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها الآن.

٢ ـ **يدعو** جميع الأطراف المعنية الى البدء فوراً بعد وقف إطلاق النار، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه.

٣ ـ **يقرر** أن تبدأ فور وقف إطلاق النار وخلاله، مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الإشراف الملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٧٤٧، بـ ١٤ صوتاً مقابل لا شيء كالآتي:(*)

مع القرار: استراليا، النمسا، فرنسا، غينيا، الهند، اندونيسيا، كينيا، بنما، بيرو، السودان، الاتحاد السوفياتي، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأميركية، يوغسلافيا.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٧٤٧، بـ ١٤ صوتاً مقابل لا شيء كالآتي (*)

(*) النص الفرنسي والاسباني: من الأراضي المحتلة des Territoires Occupés

(*) لم تشترك الصين في التصويت على هذا القرار.

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿١٤١﴾

سورة النساء

يقول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن **﴿الذين يتربصون بكم﴾** يعني المنافقين، أي ينتظرون بكم الدوائر. **﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾** أي غلبة على اليهود وغنيمة **﴿قالوا ألم نكن معكم﴾** أي أعطونا من الغنيمة. **﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾** أي ظفر. **﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾** أي ألم نغلب عليكم حتى هابكم المسلمون وخذلناهم عنكم... **﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾** أي بتخذيلنا إياهم عنكم، وتفريقنا إياهم مما يريدونه منكم...

اما بالنسبة لقوله تعالى: **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** فيقول القرطبي: فيه ثلاث مسائل: الأولى ـ قوله تعالى: **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** للعلماء فيه تأويلات خمس:

أحدها ـ ما روي عن يُسَيْع الحضرميّ قال: كنت عند علي [ابن ابي طالب رضي الله عنه] فقال له رجل يا امير المؤمنين أرأيت قول الله. **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** كيف ذلك، وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحياناً! فقال علي رضي الله عنه: معنى ذلك يوم القيامة يوم الحكم. وكذا قال ابن عباس: ذاك يوم القيامة. قال ابن عطية: وبهذا قال جميع أهل التأويل. قال ابن العربيّ: وهذا ضعيف: لعدم فائدة الخبر فيه، وإن أوهم صدر الكلام معناه؛ لقوله تعالى: **﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾** فأخّر الحكم إلى يوم القيامة، وجعل الأمر في الدنيا دُولاً تغلب الكفار تارة وتُغلب اخرى، بما رأى من الحكمة وسبق من الكلمة.

ثم قال: **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾** فتوهم من توهم أن آخر الكلام يرجع إلى أوله، وذلك يسقط فائدته، إذ يكون تكراراً.

الثاني ـ إن الله لا يجعل لهم سبيلاً يمحو به دولة المؤمنين، ويذهب آثارهم ويستبيح بيضتهم؛ كما جاء في صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: **«وإني سالت ربي الا يهلكها بسَنَة عامة والا يُسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرَد وإني قد أعطيتك لأمتك الا اهلكهم بسنة عامة والا اسلط عليهم عدواً من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»**.

الثالث ـ إن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً [منه] إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم؛ كما قال تعالى: **﴿وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم﴾**. قال ابن العربي: وهذا نفيس جداً.

قلت، والقول للقرطبي: ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث ثَوْبَان **«حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»**، وذلك أن «حتى» غاية؛ فيقتضي ظاهر الكلام انه لا يسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض، وسبي بعضهم لبعض، وقد وجد ذلك في هذه الأزمان بالفتن

الواقعة بين المسلمين؛ فغلظت شوكة الكافرين واستولوا على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الاسلام إلا اقله؛ فنسأل الله أن يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه.

الرابع ـ إن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً شرعاً؛ فإن وجد فبخلاف الشرع.

الخامس ـ **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** أي حجة عقلية او شرعية يستظهرون بها إلا ابطلها ودحضها.

هذا بالنسبة للمسألة الأولى في هذه الآية والتي سنقتصر عليها في هذا البحث لأهميتها ولن نتعداها لبحث المسألة الثانية والثالثة (راجع تفسير القرطبي).

وفي تفسير آية **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** يقول الطبرسي ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصيراً ولا ظهوراً... عن ابن عباس، وقيل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالحجة وإن جاز أن يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة.

ويقول الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» هذا في يوم القيامة إذا كان المراد بالسبيل النصر والغلب، أو في الدنيا إن كان المراد به الحجة.

ونقول إنه يمكننا أن نستخلص حكماً شرعياً من هذه الآية مفاده أنه لا يصح شرعاً أن يتولى الحكم على المسلمين إلا مسلم، إذ أن الله تعالى نهى نهياً جازماً عن أن يكون الكافر حاكماً على المسلمين فقال جل من قائل **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾** وجعل الكافر حاكماً على المسلم هو جعل سبيل له عليه، وقد نفى الله ذلك نفياً قاطعاً باستعماله حرف (لن) وهو قرينة على أن النهي عن أن يكون للكافر سبيل على المسلمين، أي عن أن يكون الكافر حاكماً على المسلمين هو نهي جازم، فهو يفيد التحريم، وما يدعم ذلك أدلة أخرى نسوقها لتبيان هذا الأمر منها أن الله اشترط في الشاهد على الرجعة أن يكون مسلماً قال تعالى **﴿فإذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم﴾**. ومفهومه لا من غيركم، واشترط في الشاهد في الدَّيْن أن يكون مسلماً قال تعالى **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾** أي لا من رجال غيركم. فإذا كان مثل هذا الشاهد في هذين الأمرين اشترط الشرع فيه أن يكون مسلماً، فمن باب أولى أنه يشترط في الحاكم أن يكون مسلماً، وايضاً فإن الحكم هو تنفيذ أحكام الشرع، وتنفيذ أحكام القضاة، وهم مأمورون أن يحكموا بالشرع، وهو يقتضي أن يكون المنفذ مسلماً، لأنه يؤمن بما ينفذ، والكافر لا يؤتمن على تنفيذ الاسلام، ولذلك اشترط أن يكون مسلماً، وايضاً فإن الحكام هم أولو الأمر والله تعالى حين أمر بالطاعة لأولي الأمر، وحين أمر برد الأمر من الأمن أو الخوف إلى أولي الأمر، اشترط أن يكون ولي الأمر مسلماً. فقال تعالى: **﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾** وقال **﴿وإذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى اولي الامر منهم﴾**. فقال «منكم» أي لا من غيركم وقال: «منهم» أي لا من غيرهم. مما يدل على أن ولي الأمر يشترط فيه أن يكون مسلماً. ولم ترد في القرآن كلمة ولي الأمر إلا مقرونة بأن يكون من المسلمين، مما يؤكد اشتراط أن يكون الحاكم مسلماً، كما أن الحاكم له على المسلمين كافة الطاعة، والمسلم غير مكلف بطاعة الكافر، لأن تكليفه إنما ورد بطاعة ولي الأمر المسلم قال تعالى **﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾** فأمر بطاعة أولي الأمر من المسلمين، ولم يأمر بطاعة غيرهم مما يدل على عدم وجوب طاعة ولي الأمر الكافر، ولا حاكم دون طاعة، فيتبين لنا من الآية **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** وما سقناه من أدلة أخرى أنه لا يجوز للمسلمين أن يرضوا أو يسكتوا عن حكم الكافر لهم كما هو حاصل في كثير من البلاد الإسلامية كلبنان مثلاً الذي يحكم فيه النصارى أبناء المسلمين □.

موعظة

دخل رجل على الإمام أحمد بن حنبل يوماً فقال: عظني يا إمام، فقال له: «إن كان الله قد تكفل بالرزق فخوفك على الرزق لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا؟ وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالخوف لماذا؟» فخرج الرجل من عند الإمام وعاهد نفسه أن يرضى بقضاء الله وقدره.

كتاب «الشهر»

التلويث الفكري والاعلامي في العالم الإسلامي

المؤلف: عايد الشعراوي

الناشر: دار النهضة الاسلامية بيروت

١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م

كتاب فكري، هادف، بأسلوب جذاب يستعرض بعض الأمراض الاعلامية والفكرية التي يعاني منها العالم الاسلامي ويسلط الضوء عليها، ويتخلله مقتطفات من الآراء المضللة لبعض الكتاب ويرد عليها بالدليل الشرعي.

والكتاب من شقين: الأول إعلامي يتناول الوسائل والأساليب الاعلامية الخبيثة التي تمارس ويستعرض دور الصحافة في التمهيد للغزو الاستعماري لوادي النيل وبلاد الشام مستنداً الى الاسماء والتواريخ. والشق الثاني فكري يستعرض فيه الكاتب بعض الأفكار الخبيثة التي يحاول بعض الكتاب الترويج لها لإيجاد رأي عام مؤيد او متأثر بها، ويرد عليها من الكتاب والسنة.

يقول الكاتب في المقدمة «يجب التسلح بمزيد من الوعي على كل ما يذاع وينشر من دسائس الفكر الخبيث، والغزو الاعلامي المركز الذي يمارسه (المتلاعبون بالعقول) . سباقهم المحموم على احتلال زوايا عقل عند اكبر عدد من الناس، في كل ينم عن استهتار بعقول البشر استخفاف بالإنسان وينم عن سخرية لا حد لها عن طريق الكذب الاعلامي المتواصل والدجل السياسي بدون حدود، وكل ما يرافق ذلك من تلون وتمويه. أجادوه حق الإجادة في محاولة لاستغباء عامة الناس واستغلال طيبتهم وعفويتهم الصادقة. وإذا كان موجهو أبواق الإعلام يكذبون ويعلمون أنهم يكذبون فمن واجب كل مسلم أن يعرف أنهم يكذبون، وأن لا يتوقع منهم أن يصدقوا طالما بقيت هذه الابواق بيد هذه النوعيات، ومسخرة كلياً لخدمة اسياد هذه الأبواق وأصبحوا يستخدمون أسلوب الإعلان مدفوع الثمن وليس أسلوب الإعلام، إضافة إلى ما يرافق ذلك من دعاوة رخصية مليئة بالمبالغات والتشويق وكأنه يخاطب الغريزة بدل مخاطبة العقل، وكأنه يسوق سلعة تجارية».

ومن عناوين الموضوعات التي يبحث فيها الكتاب هذه: **أساليب الاعلام الخبيث، والسياسات التي يتبعها لإلهاء الرأي العام وترويضه، والاعلام يلبس قناع الزيف، سمات الاعلام في العالم الاسلامي، كيف ساعدت الصحافة في استعمار العالم الاسلامي، التلوث الفكري من صنع الغرب الصليبي، كُتّاب الفكر الهدام، موضوع الحضارات، الدعوة إلى القومية، نظام الخلافة عقلي أم شرعي، نعوت التطرف والاصولية والارهاب، نظرة اسلامية إلى الإعلام.**

وفي رده على دعاة القومية يستعرض النصوص من القرآن والسنة التي تحرم هذه الدعوة ويمضي قائلاً «لا يوجد أي دليل شرعي على أن العرب شعب مختار، ولا دليل على أن العرب ذنبهم مغفور لكونهم عرباً، ولا أنه تحصل لهم الشفاعة بشكل مستقل عن باقي الأمة الاسلامية، ولا أنهم يدخلون الجنة قبل باقي المسلمين، نعم قد يكون العرب أثقل حملاً وأكفأ من غيرهم في حمل الرسالة لكونها، بلسانهم، لكن ذلك لا يعطيهم افضلية أو تمايزاً على غيرهم... إن القرآن الكريم يؤكد عدم وجود فوارق بين الناس أو تفاضل أو تفاخر بالانساب والقبائل، وأن التقوى هي المقياس وهي ميدان التنافس والتسابق بين المسلمين، وفي ميزان التقوى هذا لا وجود للون أو عرق أو حَسَبٍ أو قبيلة **﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾**.

وفي الرد على نعوت التطرف والارهاب يقول «ظهرت هذه النعوت عقب بروز التيار الاسلامي بقوة في السبعينات والثمانينات، ومن الطبيعي أن الغرب ووكلاءه في عالمنا لم يتركوا جمهور الناس في لحظة من لحظات التاريخ المعاصر دون أن يختاروا هم ما يزود به الرأي العام، وما يحجب عنه، ومن يتصور أن الناس هم أصحاب القرار في ما تُحشى به العقول هو إنسان واهم، فالغرب لم يغب يوما واحداً عن سقاية ورعاية الرأي العام بكل ما يخدم تكريس وجوده حضارةً وفكراً وثقافةً وسياسةً وتبعيةً مطلقة في الاقتصاد والمال والحرب واللاحرب»...

لعنة صندوق النقد الدولي تلاحق دويلات العالم الاسلامي

أبو الفضل الشامي

ان الحديث عن صندوق النقد الدولي وهيمنة امريكا عليه وتحكمه في البلاد الفقيرة تكاد لا تخلو منه مجلة او صحيفة في كل انحاء العالم، ولكن الأحاديث والاحصاءات كلها تركز على ما يطلقون عليه تسمية (العالم الثالث) (أو دول العالم النامي) أو الدول المتخلفة أو دول الجنوب في مقابل دول الشمال، وإذا اردنا ان نعرف موقع العالم الاسلامي ضمن هذه التسميات فإننا نجد ان هذه التسمية تشمل جميع دول العالم الاسلامي لأنها كلها متخلفة وكلها فقيرة (ولو أن بعض الدول حققت بعض الأرباح النفطية إلا أنها لا زالت في عداد الدول المتخلفة)، وهذه التسمية تشمل إضافة الى دويلات العالم الاسلامي بعض دول جنوب شرق آسيا وباقي دول افريقيا وكل دول أمريكا الجنوبية.

إن الاحصاءات والأرقام في مجملها أوكلها تُحضّر لتشمل كل الدول المتخلفة أو دول العالم الثالث، ويندر أن تكون هنالك احصائيات تختص بالعالم الاسلامي بشكل منفرد، لذلك على الباحث في الأرقام والاحصائيات إما اللجوء الى التخمين والتقدير للوصول الى الأرقام التي تتعلق بالعالم الاسلامي، وإما تعميم الأرقام ليجعل ما ينطبق على دول العالم الثالث ينطبق على العالم الاسلامي لأن الأخير يشكل الثقل الأكبر من تعداد ما يسمى بالعالم الثالث.

فتش عن أمريكا

وبالرجوع لموضوعنا وهو هيمنة أمريكا من خلال صندوق النقد الدولي على اقتصاد ومالية أغلب دول العالم بما فيها الدويلات القائمة في العالم الاسلامي فإننا نجد أن أمريكا تمتلك **العديد من الأسلحة** التي تهيمن بها على العالم فبالإضافة الى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وما انبثق عنها من منظمات وهيئات موجهة مباشرة من قبل أمريكا هنالك **صندوق النقد الدولي والبنك الدولي**، وهنالك **القروض** التي تعطيها للدول الفقيرة وفوائد تلك القروض التي تتراكم على الدول المدينة بأرقام خيالية تُبقي تلك الدول تحت رحمة أمريكا طالما بقيت تلك الديون قائمة، وهنالك **الدولار** الذي جعلته أمريكا مخزناً للقيمة، ومقياساً لأثمان الاشياء، والعملة الدولية للتجارة والتبادل الدولي، وما يترتب على ذلك من قدرة فائقة على التحكم في أسعار العملات الأخرى وفي مال العالم والاسواق المالية العالمية، وهنالك **الذهب** الذي تملك أمريكا منه احتياطيا ضخماً مما يمكنها من التحكم في أسعاره حتى تجعل الدولار وحده هو المقياس والقاعدة النقدية الدولية الأمر الذي أدى الى تحويل الذهب الى سلعة وبضاعة بعد أن كان مقياساً لأسعار العملات ومخزناً للقيمة وقاعدة نقدية، ومن **اسلحة أمريكا أيضاً النفط** وقدرتها على التحكم في أسواقه وأسعاره وهذا يؤكد أن **منظمة الأوبك** أصبحت هي الأخرى من الأسلحة التي تمتلكها أمريكا وتتحكم بها في النفط انتاجا وتسويقا وتسعيراً. ومن الاسلحة التي تستعملها أمريكا ايضا **صفقات بيع الأسلحة وقطع الغيار** وما تفرضه من شروط، ومن أمثلة ذلك صفقة طائرات الأواكس للسعودية وتسريب قطع الغيار لإيران فيما عُرف «بإيران غيت» و فضيحة الكونترا وما يتبع تلك الصفقات من خبراء وبعثات تدريبية وتجسسية، ومن أسلحة أمريكا أيضاً سلاح **المساعدات والمنح** التي تقدمها أمريكا مجانا للدول الفقيرة بالرغم من أن ميزان مدفوعاتها يشكو من عجز دائم إلا أن رقم المساعدات والمنح لازال يحسب له حساب في كل عام، وهذا دليل على حرص أمريكا على الظهور بمظهر الأب العطوف على أبنائه الفقراء، ولكن الأمر لا يعدو كونه نوعاً من الدعم المادي لأعوانها

وعملائها في البلدان الفقيرة حتى يتمكنوا من البقاء في مركز القرار في ذلك البلد الممنوح.

ومن أسلحة أمريكا أيضا إثارة **الحروب الاقليمية والأهلية** من أجل تثبيت نفوذها أو من أجل طرد حليفاتها والحلول محلها وليس ببعيد بروز الدور الأمريكي في تأجيج حرب الخليج وكذلك الدور الأمريكي في الحرب اللبنانية ومنع استقرار الأوضاع في كثير من البلدان الفقيرة.

ومن أسلحة أمريكا أيضا **الانقلابات** حتى على رجالها، وما حصل في الفلبين وطرد ماركوس ومجيء أكوينو خير دليل، ولا ننسى ما حصل للنميري رجلها المخلص حينما تخلت عنه ومنعت صندوق النقد الدولي من مد يد المساعدة إليه، أو ما حصل في باكستان حينما جاءت بالسيدة بنازير بوتو.

ومن أسلحة أمريكا **الاستعراض المباشر للقوة** كما حصل في الأرجنتين وكما حصل أخيرا من عدوان على الطائرات الليبية. ومن أسلحة أمريكا هيمنتها على قرار **الدول الصناعية السبع** التي تعقد مؤتمرا صناعيا سنويا تتداول فيه سبل التحكم والسيطرة على مسار الاقتصاد العالمي.

صندوق النقد الدولي

إن الحديث عن صندوق النقد الدولي يلزمه الرجوع الى عام ١٩٤٤ أي الى العام الذي اجتمعت فيه الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية في بلدة **بريتون وودز** في أمريكا، وإبرامها لاتفاقية نقدية سُمّيت باسم المكان الذي أبرمت فيه وهو اتفاقية بريتون وودز، وهي أول اتفاقية نقدية عالمية تُعنى بتنظيم العلاقات النقدية الدولية، وقد وُجّهت الدعوة لحضور هذا المؤتمر النقدي العالمي كل من أمريكا وبريطانيا، فكان أن حضر ممثلون عن ٤٥ دولة وتم توقيع الاتفاقية.

وكان لا بد من إيجاد جهاز أو مؤسسة دولية تتولى الاشراف على تنفيذ اتفاقات بريتون وودز، وتهتم بحسن سير التطبيق والتنفيذ فكان أن انبثق عن هذه الاتفاقية «صندوق النقد الدولي» والذي أوكلت اليه مهمتان رئيسيتان:

١ ـ **تثبيت أسعار صرف العملات**: أي يجب على كل دولة منتسبة الى الصندوق اعلان سعر صرف عملتها المحلية وذلك بالاستناد الى تحديد قيمتها بوزن معين من الذهب سواء كانت التغطية الذهبية لعملتها هي تغطية مباشرة بالذهب أم تغطية غير مباشرة وتلتزم كل دولة بالمحافظة على هذا السعر عن طريق تدخل مصرفها المركزي مباشرة.

٢ ـ **منح قروض قصيرة الأجل للدول الاعضاء**: وهذه هي نقطة القوة التي ينطلق منها الصندوق في الهيمنة على الأوضاع المالية للدول الفقيرة. ولكن كيف بدأت هيمنة أمريكا على الصندوق؟

هيمنة أمريكا على صندوق النقد الدولي

بدأ تحكم أمريكا في صندوق النقد منذ أن تأسس ذلك الصندوق وذلك حين اشترطت شرطين: الأول: أن تكون مساهمة كل دولة من الدول الرأسمالية في الصندوق بحسب اهميتها النسبية في التجارة الدولية كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية إضافة الى أهمّيتها الاقتصادية الحالية، وهذا الشرط يعطي حصة كبرى لأمريكا في الصندوق والشرط الثاني حينما اتفقت مع باقي الدول المساهمة على أن عملات جميع الدول الأعضاء تتحدد بوزن من الذهب أو بنسبتها الى الدولار، مع الإشارة الى أن قيمة الدولار محددة بنسبة ٠,٨٨ غم من الذهب، وهذا الشرط الثاني جعل للدولار قيمة عالمية وعملة وسيطة للتبادل مثل الذهب تماما، حتى ان الدولار كان يمثل عام ١٩٧٠ أكثر من ٨٥٪ من إجمالي الاحتياطات النقدية للدول (النامية) الأمر الذي جعل التبعية النقدية لعملات هذه الدول تجاه الدولار تبدو تبعية كاملة، بحيث اذا تعرض الدولار لأية أزمة فإنها تنعكس مباشرة على عملات تلك الدول. وقد لاحظنا اثر انخفاض قيمة الدولار على عائدات الدول النفطية لأنها كانت تسعر إنتاجها النفطي بالدولار الأمر الذي أدى الى انخفاض قيمة عائداتها النفطية بالرغم من الارتفاع الذي طرأ على الأسعار. ولكن أمريكا لم تكتف بهذه الخسارة التي لحقت بالدول المصدرة للنفط بل اتبعتها بسياسة تخزين للطاقة عندها حتى وصلت الى الحد الذي خفضت فيه الكميات المطلوبة من النفط وزادت من استخراج النفط من أراضيها وضغطت على الأوبك فوصلت الى نتيجة وهي اغراق السوق بالنفط مع قلة الطلب عليه فانخفضت أسعاره، وكان هدفها ضرب الاقتصاد الانجليزي لأنه يعتمد على واردات النفط من بحر الشمال، ثم ضرب اقتصاد الدول المنتجة للنفط في الشرق لأن عماده النفط وواردات وحصلت أمريكا على مبتغاها.

شروط صندوق النقد لإقراض الدول المحتاجة

تتلخص الاجراءات التي يطلبها الصندوق الدولي من كل دولة تريد الاقتراض في هذه الشروط التي تشبه التعجيز: ـ

١ ـ قيام الدولة الطالبة للقرض بتخفيض سعر عملتها.

٢ ـ إلغاء مختلف أشكال الحماية الجمركية للمنتوجات المحلية لأنها تؤدي حسب وجهة نظر الصندوق الى غياب المنافسة الدولية وبالتالي انخفاض انتاجية العمل في الدول الفقيرة.

٣ ـ اعطاء الحرية الكاملة لدخول رؤوس الأموال الاجنبية الى الدول الفقيرة من أجل تمويل الاستثمارات فيها ونقل التكنولوجيا اليها.

٤ ـ الغاء الدعم عن جميع أسعار السلع الغذائية والمواد الضرورية لأن سياسة الدعم على حد زعم الصندوق لا تساعد على تنمية النتاج المحلي من تلك السلع.

٥ ـ اتباع سياسة التقشف وشد الأحزمة على البطون في النفقات الحكومية مثل التعليم والتطبيب، والانفاق على البُنى الأساسية.

٦ ـ تجميد الأجور والحد من العمالة الحكومية.

٧ ـ رفع الرقابة على الأسعار.

وقد يطلب صندوق النقد تطبيق بعض هذه الاجراءات أو كلها حينما تمد إليه بعض الدول المحتاجة يدها، فتجد نفسها بين نارين، نار الإفلاس الحكومي والمالي ونار الثورة الشعبية التي تأتي مباشرة بعد البدء في تنفيذ الاجراءات التي يطلبها صندوق النقد الدولي والأمثلة هنا كثيرة فما حصل في السودان أيام النميري هو خير دليل، وما حصل في تونس أيام بورقيبة وما حصل في الجزائر وما حصل في الأردن للدينار الأردني، وما حصل في لبنان للعملة اللبنانية، وما هو حاصل في مصر منذ عام ونصف ولا زال وهذا المثال سنتوسع فيه بعض الشيء حيث أن مصر على علاقة سيئة مع الصندوق منذ عام ونصف، وهي تعيش هاجس الثورة الشعبية إن هي رضخت لكل شروط الصندوق، وقد عجزت الحكومة المصرية عن إقناع الصندوق بإعادة جدولة ديونها التي بلغت المليارات، وقد حضرت بعثة صندوق النقد الى مصر ودرست الوضع الاقتصادي لها على الطبيعة وطلب من الحكومة عدة طلبات منها: ـ

١ ـ الغاء الدعم عن السلع والخدمات بشكل كلي.

٢ ـ توحيد سعر الصرف.

٣ ـ تجميد المرتبات لمدة ٥ سنوات وتجميد تعيين الخريجين (مع أن البطالة تطال ٣ ملايين خريج).

٤ ـ وقف إقامة أية مشروعات انتاجية جديدة.

وتقول الانباء بأن الحكومة المصرية التزمت بالشروط وبدأت بالغاء الدعم عن السلع حتى أن سعر الخبز ارتفع الى نسبة ٣٠٠٪ وكذلك سعر السكر والشاي والكهرباء وتعرفة النقل بنفس النسبة أي ٣٠٠٪.

وتدخلت أمريكا ايضا الى جانب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وطلبت من النظام المصري الامتثال للشروط المطلوبة وادعى حسني مبارك أنه قبل بالشروط المفروضة لكي يضمن استمرار تدفق القروض الخارجية.

ويتوقع المحللون أن تنعكس الاجراءات الاقتصادية التي بدأ النظام المصري بتطبيقها على استقرار النظام وقد يتحول الى سودان آخر، خصوصا وأن لقمة عيش الناس هي آخر خط أحمر بين النظام والناس، ولن يبقى بعدها من مجال للصبر عليه.

ان اجراءات صندوق النقد أحدثت ضجيجا في أماكن أخرى من العالم غير العالم الاسلامي لأن شعوب العالم أصبحت تدرك مدى خبث أمريكا وهيمنتها على الاجهزة النقدية والمالية العالمية، ففي تظاهرة نظمها حوالي مائة ألف متظاهر ألماني غربي خارج قاعة اجتماعات الصندوق والبنك الدوليين كانت هتافاتهم «يسقط قتلة الشعوب» «ارفعوا أيديكم عن فقراء العالم الثالث» «يسقط صندوق النقد الدولي». وقد علق البعض على شروط الصندوق التي طلبها من جمهورية غوايانا أخيرا بقوله «ان تلك الشروط هي وصفة انتحار سريعة لحالة الاستقرار السياسي النسبي الذي تتمتع به».

صندوق النقد والديون

ان كارثة الديون في الدول الفقيرة تنذر بالخطر الشديد وتنذر بإعادة الاستعمار المباشر للبلدان المدينة حتى تتمكن الدول الدائنة من الحصول على الاموال التي اقرضتها، ولكن من أين أتت هذه الأموال؟ إنها من الاموال التي يودعها رعايا وحكومات الدول الفقيرة لدى بنوك الدول المقرضة، وحينما يتمنع صندوق النقد عن مد يد العون الى تلك الدول المدينة فإنه يدفعها الى الارتماء اكثر في أحضان الدول الدائنة والرضوخ لشروطها، لذلك فان الاستعمار يكمل بعضه، واستنزاف الدول الفقيرة تشترك فيه الدول الرأسمالية الى جانب المؤسسات التي تهيمن عليها كصندوق النقد، والخطر محدق من كل الاتجاهات ولازالت الأنظمة التابعة في عواصم العالم الاسلامي تجتر أحلامها النفطية وكأن الأمر لا يعنيها، حتى أن بنك المصرف العربي والدولي للاستثمار قام مؤخرا بتوقيع عقد مع الاتحاد السوفياتي لبناء محطة تزلج تقدر قيمتها بحوالي ١٦٠ مليون دولار فهل هذا البنك يشعر بالمسؤولية وهل

الأنظمة التي تملكه تشعر بالمسؤولية هي الأخرى، وهل الوقت الذي نمر به هو وقت بناء محطات تزلج؟ لا عجب في ذلك فلقد قامت انظمة عديدة في الشرق بانشاء محطات تزلج في قلب الصحراء، بالرغم من أن الأوضاع المالية لها تصعق وتصيب بالذهول والى من يريد المزيد من الارقام نورد له بعض الارقام الواردة في مقال للسيد محمود سيف الدين في مجلة الاقتصاد الاسلامي الصادرة في دبي: -

١ ـ أن حجم الديون الخارجية للدول النامية بلغ عام ١٩٨٨ حوالي ١,٢ ترليون دولار اي (١٢٠٠ مليار دولار).

٢ ـ ان الديون ارتفعت خلال ثلاث سنوات فقط من ٩٥٠ مليار الى ١٢٠٠ مليار دولار.

٣ ـ إن ما يتلقاه صندوق النقد الدولي من أقساط سداد وفوائد يزيد على ما يقدمه من قروض بمقدار ٥٠٠٠ مليون دولار.

٤ ـ ان حجم ديون الدول الافريقية يعادل ثلاثة اضعاف عائدات القارة الأفريقية من صادراتها السنوية.

٥ ـ المدير التنفيذي لمنظمة الطفولة (اليونيسيف) التابعة للأمم المتحدة صرح في أعقاب وفاة مليون طفل افريقي خلال عامين «بأن الوفيات نتجت بشكل مباشر على عدم قدرة الحكومات الأفريقية على تحسين ظروف المعيشة حيث ذهبت قطاعات ضخمة من الميزانية لتسديد ديونها، إن مليون طفل لقوا حتفهم كعاقبة للدين، وتساءل هل يجب أن يموت أطفالنا جوعا حتى نسدد ديننا؟».

بعد هذه الأرقام هل بقي عاقل في الدنيا يصدق بأن امريكا هي رائدة الدفاع عن حقوق الانسان أو أن امريكا هي الحارس للسلام العالمي، أو أنها هي المدافع الأول عن ما تسميه (معايير السلوك الدولية)؟ كذبت والله، فهي وراء كل مصيبة في عالمنا الاسلامي منذ قامت بأول انقلاب لها في شمال افريقيا وتحت شعار التحرر من الاستعمار (والامبريالية). ان امريكا هي عدوة الشعوب حتى في لقمة عيشها فهل آن الأوان لهذه الشعوب ان تعرف كيف تقضي على رأس الأفعى وتكف عن الالتهاء بالذَّنَب؟.

كتاب «الوعي»: «١»

التلويث الفكري والإعلامي
في العالم الإسلامي

إلى الاخوة القرّاء...

صدر كتاب «الوعي» الأوّل تحت عنوان «التلويث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي» لمؤلفه عايد الشعراوي، وهو الكتاب الأول ضمن سلسلة كتب تطمح «الوعي» إلى إصدارها بشكل غير دوري بإذن الله.

ويمكن للاخوة القرّاء الرّاغبين في الحصول على نسخة من هذا الكتاب القيِّم مراجعة مسؤول توزيع «الوعي» في مدينته او البلد الذي يعيش فيه او اي مكتبة تعرض «الوعي». وفي حال عدم وجود مسؤول لـ «الوعي» فيمكن للقارىء طلبه من اسرة «الوعي» في بيروت.

القرّاء في المانيا يمكنهم الحصول على الكتاب من:

مكتبة الشرق

Mälzerstr. 48, D - 4790 Pader bon, TEL: 05251 - 74576

وللإطلاع على مضمون الكتاب، راجع باب «كتاب الشهر» في هذا العدد.

اسرة «الوعي»

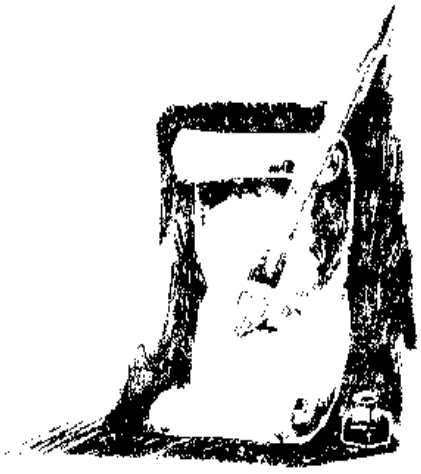

التأريخ للفكر من خلال الشهرستاني

محمد محمد البقاش

تونس

دارسة التاريخ من الدراسات التي ثبتت الحلقات بين ماضي البشرية وبين حاضرها ومستقبلها. وقد عني الانسان بمعرفة الماضي عناية لم يشذ عنها صاحب ذاكرة كيفما وضعه ولو كان الامر مقتصراً على الآباء الاقربين. والتاريخ من المعارف الانسانية الضرورية لابناء الحاضر كما انه ضروري أيضاً لابناء المستقبل حين يصير حاضرنا ماضياً لهم. ولم يتأتّ للانسان إهماله أو نسيانه أو تناسيه ما دام يعيش السنين، لأن في عيشه هذا ولو كان لعقد واحد من الزمن ماضياً قد طواه وسجله في حافظته، وحين ينتقل للعقد الثاني فصاعدا ربما يسجله في قراطيس أو أوراق، ولا بد أن يذكره ويحرص على نقله إلى غيره ولو لم يتجاوز أبناءه. فالتاريخ في حق الفرد والجماعة والقوم والشعب والامة والدولة هو كل ماض ولو كان لثوان او دقائق. ويجب أن لا يغيب عن الذهن الأخطاء الشائعة فيما زعم أن للتاريخ اهمية كبرى في نهضة الأمم، وأن معرفة الماضي تفتح الطريق للمستقبل لا! فهذا وهم وتخليط وقياس للحاضر المحسوس على الغائب المجهول، وقياس للقطعي اليقيني الذي نراه على الظني الذي نخبر عنه. والتأريخ للماضي سواء كان أحداثاً سياسية، أو وقائع اجتماعية، أو حوادث طبيعية أو معارف وثقافات وأفكارًا إنسانية وضعية أو غير وضعية لا يسار إليه كما يراد له، لأن في هذه الارادة عدم المصداقية لما يصوره المؤرخ نظراً لتأثره بالبيئة والظروف السياسية التي يعيشها، ونظرا كذلك لاعتماده على إيديولوجية ينطلق منها، ولا أدل على ذلك من كتب التاريخ التي كتبت في عهد فاروق بمداد من الذهب، ثم لما جاء عبد الناصر كتبت بمداد من الماء الحار، وكذلك الشأن بالنسبة لعهد ستالين وعهد خروشوف وغيرهما. فلا بد من اعتماد قانون اجتماعي حتى يتأتى للانسان أن ينظر للماضي كما هو لا كما يراد له. وقانون كتابة التاريخ يعتمد عناصر ثلاثة هي بمثابة مصادر له وهي: (١) الكتب التاريخية. (٢) الآثار. (٣) الرواية.

ـ أما الكتب فإنه إن جاز لها أن تكون من المصادر فلا بد أن تكون قد كتبت بطريق الرواية، أو بطريق الملاحظة المباشرة. ومعلوم أن أول ما عني به المسلمون من التاريخ الاسلامي سيرة النبي ﷺ وما تبعها من مغاز، وبالجملة أخباره ﷺ من ولادته إلى حين وفاته، وكان المحدث يجمع الاحاديث بطريق الرواية من غير ترتيب، فلما رتبت في الابواب خرجت منها السير لتستقل بأبوابها، ثم انفصلت عن الحديث لتؤلف في كتب خاصة فكان في البخاري كتاب المغازي، وفي مسلم كتاب الجهاد والسير. وتناول السيرة كتاب كثيرون أولهم محمد بن إسحق بن يسار المتوفي سنة ١٥٣ هـ من خلال كتابه المغازي وكان من أشهر من اتصل بالمغازي حتى قال عنه الشافعي «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحق» وكان ثانيهم محمد بن عمر بن واقد الواقدي المتوفي سنة ٢٠٩هـ وهكذا وجدت مؤلفات عديدة وضعها القدامى كتاريخ الطبري، وسيرة بن هشام، وفتوح الشام وغيره من كتب التاريخ. فهذه الكتب لا تخرج عن الملاحظة المباشرة والتي من خلالها عوينت أحداث ووقائع وآراء، وإذا لم تكن كذلك بالنسبة للحديث والسيرة نظراً لانعدام هذه الملاحظة المباشرة فإنها جميعها كتبت بطريق رواية الخبر عمن شاهده، أو رواية الكتاب عمن روى الخبر عمن شاهده. وهذه هي أصح طرق كتابة التاريخ. وأما الكتب الأخرى والتي تحكي أخبار الخلفاء والولاة، وتحكي أحوال الناس والمجتمع خصوصاً أخبار ما بعد القرن

الرابع الهجري فإن المسلمين من كتاب هذه الاخبار لم يدققوا فيها تدقيقهم في السيرة والحديث، واعتمدوا على روايات ضعيفة، وحين كتبوا تاريخ الأمم الاخرى جرى معهم نفس ما ذكر، ولكن هذه المرة كانوا يعتمدون على رواية أهل الأمم الاخرى فتضخم بالاساطير لبعد العهد بالرواة، ولعدم الدقة في النقل. إلا أن هذا الجانب لا يجب مقارنته بتاريخ الحوادث الاسلامية لأن هذه الاخيرة كانت أقل دقة من الحديث والسيرة فقط مما يغلب الظن على صحتها ويحتم إعادة النظر فيها من حيث الرواية والسند. ومن هنا يظهر جلياً أن الكتب التاريخية قد خضعت للظروف السياسية عبر العصور التي لم تعتمد الرواية، فجاء معظمها محشوا بالكذب ضد من كتبت عنهم، أو لصالح من كتبت لهم، أو في أيامهم. فحصل الخطأ حين حصل الاعتماد عليها، ومن جملة ذلك أنه لا يصح مطلقاً أخذ العصر الاموي من تاريخ يزيد مثلاً. ولا يصح أخذ تاريخ العصر العباسي من حوادث بعض خلفائه، ولا يصح أيضاً الحكم على نفس العصر من خلال كتاب الاغاني لأنه قد ألف لأخبار الشعراء والادباء والمجان، ولا يصح كذلك الحكم على أي عصر من خلال كتب التصوف حتى تقول بأن العصر كان عصر زهد وانعزال، أو تقول عن سابقه بأنه عصر فسق وفجور.

ـ أما الآثار فإنها ليست سلسلة متواصلة الحلقات حتى يمكن الاعتماد عليها في معرفة التاريخ، ولكنها مع ذلك توصل إلى بعض الحقائق إذا درست بنزاهة من حيث دلالتها على ثبوت بعض الحوادث. ومن يتتبع الآثار في جميع البلاد الاسلامية في العمران والادوات وغيرها مما يمكن اعتباره اثراً تاريخياً يجزم في أنه لم يوجد في العالم الاسلامي كله إلا الاسلام، ولم يطبق غير نظامه وأحكامه ولم تكن حياة المسلمين إلا إسلامية ليس غير.

ـ وأما الرواية فإنها إن استوفت شروطها وصحت وجب الاعتماد عليها كأسلوب لمعرفة التاريخ كما حصل مع رواية الحديث، ومن خلال هذا يتبين أن التأريخ للوقائع والحوادث والآراء والافكار والمبادىء إذا اريد له الوصول إلى الحقائق لا بد من الاعتماد على الرواية في معظمه لأنه حتى ولو كتبت كتابات بطريق المشاهدة فإنها لن تغني إلا في نطاق ضيق هو حياة المؤرخ ضمن بيئة جغرافية معينة.

ومصيبة المسلمين اليوم اعتمادهم على أعدائهم في معرفة تاريخهم. فتجد منهم من يعتمد كتب المستشرقين، أو كتب جورجي زيدان أو غيره من الكتب التي يجب أن لا يلتفت إليها كنافذة مطلة على التاريخ، زد على ذلك أن معظم تاريخ المسلمين لم يكتب بعد، وإذا توهم أحد أنه قد كتب فعليه أن ينظر إلى أسلوب كتابته حتى يعرف أي الاساليب سِيرَ عليها؟ ومن هم الذين كتبوه؟ وهل هم من أهل الثقة والعدل والضبط؟ وهل هم من المسلمين أم من غيرهم؟.

هذا فيما يتعلق بالتاريخ لكل تاريخ سواء كان فكراً أو حدثاً أو واقعة، إلا أن هذا الجانب لم يعد معتمداً من لدن المؤرخين، فكان أن ضلل الناس عن معرفة حقائق التاريخ. ولست أشك في صعوبة كتابة التاريخ القديم بطريق الرواية نظراً لبعدنا عن الرواة غير أن صعوبته لا تمنع من تحقيقه بالنظر إلى الرواية والسند من خلال ما كتب عنه في الكتب التاريخية. ثم إن الاعتماد على الكتب لا بأس به ما دام تمحيصًا لها يسبق الاعتماد خصوصاً إذا كانت كتباً ألفها المدققون من أهل الضبط والعدل من المسلمين، ومن هنا أجزت لنفسي الاعتماد على الشهرستاني من خلال كتابه ـ الملل والنحل ـ (تحقيق الاستاذ: عبد العزيز محمد الوكيل) لمناقشة التأريخ للفكر من خلاله.

ولد محمد بن عبد الكريم بن أحمد المكنى أبو الفتح والمشهور بالشهرستاني نسبة إلى بلدة (شهرستان) مسقط رأسه ومثوى رفاته سنة ٤٧٩ هـ وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨ هـ الموافق ١١٥٣ م. وقد عاش ٧٠ سنة، وكان في مذهبه شافعياً، وفي أصوله أشعرياً وعرف منزلته كثير من علماء الشرق والغرب فقال عنه الامام السبكي : وكان لعلمه يلقب بالافضل. وقال عنه/ألفرد جيوم/: «الشهرستاني كان رجلاً ديّناً إلى الاعماق، وإخلاصه للعقيدة لا يمكن أن يشك فيه أي إنسان قرأ مؤلفاته، التي تكفي بنفسها لدحض ادعاءات المنتقصين من شأنه... وهو جدير بأن ينظر إليه باعتباره ذا أصالة فكرية». ودرس على يد صفوة من العلماء منهم: أبو الحسن بن حمويه، والبيهقي، والامام أبو منصور،وموفق الدين أحمد الليثي، وشهاب الدين الواعظ وغيرهم. وكتابه هذا ـ الملل والنحل ـ اعتبره الكثيرون كما اعتبره المحقق «فريداً في بابه، بل هو عمدة في هذا الموضوع فهو دائرة معارف مختصرة للاديان والمذاهب والفرق، بل للآراء والفلسفة». وشهرته بلغت الآفاق حتى قال عنه السبكي : «هو عندي خير كتاب صنف في هذا الباب». وقال عنه هابر كر

الالماني : «بواسطة الشهرستاني في كتابه ـ الملل والنحل ـ نستطيع أن نسد الثغرة التي في تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث». وقال عنه الفرد جيوم: «إنه ظل المخلص الواقي الذي تبوب فيه الملل على اختلافها وخصائص ومميزات كل منها مما يجعله بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان». والشهرستاني في هذا الكتاب يؤرخ للمعتقدات والآراء الفلسفية والأفكار، وقد فعل ذلك **بعد اطلاعه كما قال** على: «مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها واقتناص أوانسها وشواردها... عبرة لمن استبصر واستبصاراً لمن اعتبر». وبغض النظر عن الترتيب في تأريخه إذ ارخ للمذاهب والفرق الاسلامية قبل التأريخ لفرق اليهود والنصارى واليونان والمجوس وعبدة الكواكب والاصنام وغيرهم فإن هذا الرجل يعتبر مؤرخاً للافكار والآراء والمعتقدات، وهو بحق أول من وضع هذه المعرفة (أي هذا العلم) إلا أن من جاؤوا بعده لم يدركوا أهمية التفريع وضرورة استقلال كل بحث عن غيره نظراً لضخامة هذه المعرفة إلا قليل منهم كما هو الشأن بالنسبة للتاريخ السياسي إذ كان أولى أن يؤرخ للافكار الاجتماعية (أي الافكار التي تعالج علاقة الرجل بالمرأة) والاقتصاد (أي الافكار التي تعالج علاقة الناس في تبادل المصالح) والحكم (أي الافكار التي بموجبها وجد شكل الدولة ودستورها وقواعدها) والقضاء والتعليم وغير ذلك. وقد يقال إن ذلك يسيّر إليه من جهات أخرى حتى وجد ما يسمى بالنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي ونظام الحكم... إلخ، فكان في ذلك، غنى لما ذكرت. والجواب على ذلك أن الانظمة وإن كانت أفكاراً في أصلها فقد أضحت طريقة لتنفيذ الافكار والمعالجات وهي طريقة دائمية لتنفيذ العمل وتتضمن أساليب، أي طرقاً غير دائمية، وإذا سلمنا أن التأريخ للفكر هو نفسه التأريخ للنظام ما دام هذا الاخير فكراً في أصله فإن هذا لا يعني أن المؤرخين حين أرّخوا للانظمة قد ردوا كل فكرة من أفكار الانظمة إلى صاحبها الأول من حيث التأريخ لمصادر الافكار فأفكار النظام الماركسي وإن كانت منسوبة إلى كارل ماركس غير أن ماركس ما هو إلا مادي قد أخذ عن الماديين قبله بغض النظر عن بلورته لها وبناء فكر آخر عليها، فأقواله (أي أفكاره) نجد لها مصادر أخرى في تاريخ الفكر الانساني ولذلك يحسن بنا أن نرد الفكرة إلى مصدرها.

لا شك أن كلا منا قد قرأ وعرف عن التاريخ الشيء الكثير، خصوصاً وأن هذا الجانب من المعارف الانسانية يرتبط بحب الانسان للاستطلاع، فيسير ببعض الناس نحو الاعتزاز بملامح الاجداد أو الاقوام، ويسير بالبعض الآخر نحو المعرفة مجرد معرفة، ويتناوله الكثيرون لاستخلاص تصورات جديدة لحياتهم تبنى على القديم وهكذا. غير أن الانسانية لم تكد تلتفت للتاريخ للفكر رغم أنها دونت الكثير منه دون اهتمام برده إلى أصله من حيث الانتساب لاعتبارات عديدة، منها أن الافكار ليست حكراً على أحد، فللانسان أن يتبنى ما شاء من فكر غيره، ذلك أن الفكر بعد صدوره من الشخص يحصل له التداول، وهذا التداول يصل إلى الاستقرار في أدمغة الكثيرين دون اهتمام بإرجاعه إلى أصله لمعرفة صاحبه الأول. ومنها أيضاً صعوبة مثل هذه الدراسة غير الموصلة في بعض الاحيان أو معظمها نظراً للتفريع الكثير الذي حصل في فكر الانسانية حتى أوصل في معظم الاحيان إن لم أقل كلها إلى الجهل بمصادرها، ومنها انعدام معرفة أحوال الأمم قبل كتابة التاريخ إلا ما كان في آثارهم التي خلفوها والتي لا توصل إلا إلى جزء من المعرفة بأحوالهم كذلك.

صحيح أن أي فكر يكفي الاقتناع به حتى يتبنى فيبعد العيب عمن أخذه إذا كان صادراً من غيره. فالفكر الماركسي مثلاً يقوم على القول بأزلية العالم وماديته فإذا أردنا التأريخ لهذه المقولة كفكرة نجد ماركس ليس مصدراً لها بل كانت موجودة فاعتمدها، فهي من مقولات فلاسفة اليونان أمثال هيراقليط فقد قال هذا الاخير بأن: «العالم لم يخلقه إله أو إنسان، وقد كان ولا زال وسيظل شعلة حية تشتعل وتنطفىء تبعاً لقوانين معينة» وعلق عليه لينين قائلاً: «يا له من تفسير رائع لمبادىء المادية الديالكتيكية». هاتان المقولتان إذا أريد لهما التأريخ يكون ذلك ممكناً في حق التعليق، وأما بالنسبة للوقوف عند هيراقليط فإنه غير صحيح بل يجب تجاوزه والبحث عن غيره قبله أو في عصره فهو (أي هيراقليط) لم يبن فكره إلا على معلومات سابقة، والمعلومات في أصلها فكر يولد فكراً آخر ومن هنا لم يكن هيراقليط هو المبدع لهذه الفكرة بل سبقه إليها (ماني بن فاتك الحكيم) وربما سبق هذا الاخير أحد غيره، وبذلك يصل بنا الأمر للتأريخ لفكر أول إنسان وهذا لن يصير لانعدام صيرورته مادة للتفكير لأنه غير واقع إلا ما كان من أخباره من جهة القطعي الثبوت كالقرآن الكريم والسنة المتواترة، لأن كون القطعي الثبوت قطعياً ثبت بالعقل وبني عليه، فيكون ما تضمناه من أخبار غيبية قطعية أيضاً، فإذا اعتمدناهما لمعرفة أول حدث قتل وقع في البشر لم نخطئه ﴿واتل

عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ وإذا اعتمدناهما كذلك لمعرفة مصدر (الأنا) لم نخطئه ﴿... قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. فإذا استعصى علينا التأريخ للفكر فعلى الاقل نؤرخ له بدءاً من وجوده عند شخص أو أشخاص في عمق تاريخ الانسان الذي نطمئن إليه.

وأما التاريخ الحديث ففيه الكثير مما يحتاج إلى إعادة نظر، فالقول ببشرية القرآن مثلاً صدر عن المستشرقين وصدر عن غيرهم، فقد قال به (جيب) وجيب هذا ليس قائله الأوحد حتى يكون مصدراً له، وحتى يتأتى التأريخ لهذه الفكرة من شخصه، بل سبقه إليه من عاصروا محمداً رسول الله ﷺ، وعليه فإن محاولة التأريخ لهذه الفكرة لن يتجاوز التفكير فيما قبل البعثة المحمدية لأن القرآن الكريم ما كان قبلها ولذلك يكفي التفكير في زمن رسول الله ﷺ لمعرفة مصدر هذا القول حتى يتأتى التأريخ له من ذاك المنطلق سواء استقر الامر في الغلام النصراني ـ جبر ـ أو تجاوزه إلى غيره ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾. إذا أخذنا الافكار السياسية كفكرة تمتع اليهود بحماية عالمية وحق المواطنة في جميع الدول نجدها فكرة يهودية، وبالتحديد فكرة (لوشيان وولف)، فقد سجلها المؤرخ والدبلوماسي الإنجليزي الشهير (هارولد نيكولون) في مؤلفه الضخم (صنع السلام) ١٩١٩ ـ ١٩٤٤ صفحة ٢٤٤ حيث قال: «إن لوشيان وولف طلب إليه شخصياً أن يتبنى رأيه وهو أن (اليهود يجب أن يتمتعوا بحماية عالمية، وأن يتمتعوا في الوقت نفسه بكل حقوق المواطن في أية دولة...)». وإذا أخذنا معاهدة (فرساي) نجد أن (ويلسون) قد طلع فيها بأفكار مثالية في أول الامر ولكنه يوم ٢٨ آذار ١٩١٩ تلقى برقية من (يعقوب شيف) ممثل المرابين العالميين تتضمن رأي من يمثلهم في خمس قضايا عالمية: القضية الفلسطينية، التعويضات الالمانية، سيسيليا العليا، منطقة السار، وممر دانزينغ الذي عرف بمشكلة ممر دانزينغ ومنطلقاً للحرب العظمى الثانية فيما بعد. هذه الآراء صرح بها من ليست له. وإذا أخذنا عصبة الامم نجدها فكرة يهودية ليس غير وقد افتخر بها في المؤتمر الصهيوني يوم ٢٨ آب ١٩٥٢ رئيس اللجنة التنفيذية ـ ناحوم سوكولون ـ بقوله: إن عصبة الأمم فكرة يهودية وقد وضع هذا الكلام حرفياً في كتاب (اليد الخبيثة) للكولونيل أ . هـ . لين الأمريكي في سياق تحذير الشعب الامريكي من الخطر الصهيوني. فإذا أخذنا أفكاراً من هنا وهناك للتأريخ لها نجد أن كثيراً من الخلط وطمس الحقائق وإضلال الناس قد نتج عن عدم رد الفكرة إلى أصلها لاتخاذ ونبني موقف محدد منها. فالمقصود بالتأريخ للأفكار بالإضافة للإنطلاق من المصدر الأول أو المصادر المتعددة إذا تعسر رد الفكرة إلى مصدر واحد لإمكانية التقاء الناس في أفكارهم في زمن واحد وأمصار متعددة دون التقاء ذواتهم ودون العلم بذلك هو الإحاطة بمدى انتشار الفكرة في البلدان، وما بني عليها، وما تفرع عنها من فكر آخر لمعرفة انتقالها من حال إلى حال، ومعرفة الاساليب والطرق التي كانت تؤدي بها، واللغات التي كانت تصاغ بها، والصراع الذي أحاط بها، بل وكل شيء يتعلق بها.

ثم إن التأريخ للفكر قد يذهب بنا نحو العموم فنقول تاريخ الفكر الانساني ونكون بذلك قد سددنا باب التخصص وأضحى العمق في الدراسة عسيراً جداً إن لم يكن مستحيلاً، ولذلك فإن التأريخ للفكر يجب أن لا يذهب بنا نحو العموم، بل نخصص لكل فكر تاريخاً له نظراً لضخامة البحوث وتشعبها، حتى يمكن تكوين صورة مطمئنة عن الفروع التي هي تاريخ الفكر النفسي، وتاريخ الفكر الاجتماعي، وتاريخ الفكر السياسي، وتاريخ الفكر الاقتصادي، وتاريخ الفكر الفلسفي، وتاريخ الفكر الاجرامي... وربما نؤرخ للفكر الادبي فنخصص لكل فرع من فروعه باباً للتاريخ فنوجد تاريخ الفكر الشعري، وتاريخ الفكر الخطابي، وتاريخ الفكر القصصي، وتاريخ الفكر النثري... وربما وجدت امرأة تطالب بتقسيم الفكر الانساني إلى فكر رجالي وفكر نسائي فتذهب مذهب الرجال وتبحث عن نتاج تفكير النساء في جميع الميادين وتؤرخ له كما يؤرخ لغيره من نتاج تفكير الرجال وهكذا.

حديقة «الوعي»

من نور كتاب الله

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وانتم لا تعلمون﴾
(النور - ١٩)

من هدي رسول الله

عن ابي امامة رضي الله عنه قال: «جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: ارايت رجلاً غزا يلتمس الاجر والذكر، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ لا شيء له. فاعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله: لا شيء له. ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه».

رواه النسائي

الكلمات الممنوعة

الله أكبر
من يقولها يعتقل
بتهمة «الإرهاب»
والاعتداء على أمن الرعية
لا إله إلا الله
تعني الخروج عن السلطة الشرعية
ولا بد ان تحاكم حسب القوانين الوضعية
وتوضع قبل ذلك وراء قضبان حديدية
لكي يسلخ جلدك مثل كبش الأضحية
ويغسل مخك من هذه الأفكار الرجعية
وربما تموت قبل المحاكمة
في محكمة «العدل والحرية»
وإذا عشت الى يومها
فسوف يعيدونك الى زنزانتك
لتقضي بقية عمرك
في اماكن سرية
لا ترى فيها الشمس
ولا تشم رائحة الحرية
الله اكبر هي الشمس الحقيقية
ولا إله إلا الله أقصى الحرية

عدده - بروكسل
مجلة العالم

يا مرحبا بِظلِّ الخيامِ

انعم بشبل للحجارة ... برمي بمقلاع حجاره
انعم به شبلاً هزبراً ... يملأ الدنيا جسارة
انعم بشبل البائسين ... من الخيام يشنُّ غارة
ويهز ركنَ الغاصبين ... برميه يورى شراره
ويرجُّ في الافق البعيد ... زئيرهُ وكرَ الدعارة
عمّان هابتْ رميهُ ... ومضى الدعيُّ يَصدُّ ناره
هرع الجميع كشانهم ... يدعون للسلم المَعاره
خافوا على الكرسي تحـ ... ـت عُجوزهم وعلى الإمارة
يا مرحبا بابن الخيام ... وحَيْهلا بابن المغارة
اخجلتَ بالرمي الشبابَ ... المترفين بلا عبارة
فمضيت نحو شهادةٍ ... ومضوا إلى كاس وباره
علما على عز الحياة ... تعاوَرَ المجدُ أزدهاره
قد فزتَ بالقتل الشريف ... وأب قومُك بالخسارة
ومضيت نحو الاكرمين من ... الجدود بلا سفارة
تطوى على الخَمَص الحشا ... مستهزئاً بابي عمارة
متربعاً فوق الارائك ... يملأ الدنيا حقارة
تَخِمتْ كروشُهم وانت ... تئن مفطور المرارة
اين الذي ملأ العروبةَ ... بالكلام وبالاشارة
مرفوعها بالاصبعين ... رأيتها خيط القذارة
إضرب فما رَخُمُ تمخَّض ... عن مثيلك يا بشارة
إضرب فانت برميك الاحجار ... ترميهم مرارة
شاهت وجوههم وقُبحت ... الغداة بلا استعارة
تزرى بالوية الجيوش ... مدججين إلى السُّدارة
رتبٌ واوسمةٌ والقابٌ ... تضيق بها العبارة
ما شاركتْ يوماً بحرب ... لا ولا قتلت حمارة

«ابو هند»

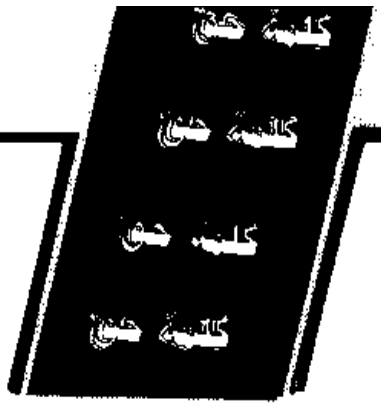

كيف تتضاعف ديون (العالم الثالث)؟

يقول الدكتور سعد الدين إبراهيم في مقال نشرته له إحدى المجلات الاسبوعية:

«في دراسة حديثة لبنك مورغان تراستي في الولايات المتحدة قدر أن ما بين ٤٠٪ و٦٠٪ من مجموع القروض التي حصلت عليها بلدان العالم الثالث قد وجدت طريقها مرة اخرى الى بلدان العالم الأول على شكل حسابات سرية خاصة لكبار المسؤولين، أو بأسماء ذويهم، فمن مجموع ١٥٠٠ مليار دولار هي ديون العالم في منتصف الثمانينات قدرت الدراسة أنه يوجد في مقابلها حوالي ألف مليار دولار في بنوك العالم الأول في حسابات خاصة بأسماء مسؤولين حاليين أو سابقين من بلدان العالم الثالث، وقد وجدت هذه الدراسة ان المال الهارب من أحد الأقطار العربية يصل سنوياً الى حوالي مئة بالمئة من مجموع القروض والمساعدات الأجنبية التي يحصل عليها هذا القطر العربي، اما في حالة مصر فان النسبة كانت طبقاً لهذه الدراسة ودراسة أخرى ان لمعهد التمويل الدولي حوالي ٣٥٪، ويدخل في هذا المال الهارب الى الخارج لا ما يحصل عليه المسؤولون من عمولات ورشاوى فقط ولكن أيضاً ايداعات المواطنين المحليين في بنوك اجنبية خارجية وذلك تأميناً لمدخراتهم نتيجة الشعور بعدم الأمان في بلدانهم، وجو الفساد الذي تتناقل الألسن بشأنه قصصاً حقيقة أو مبالغاً فيها أو وهمية، فكأننا هنا بصدد ظاهرة متشعبة أساسها الفساد.

فهناك أولاً: النهب المباشر لنسبة كبيرة من القروض والمساعدات الأجنبية بواسطة مسؤولين كبار من خلال العمولات والرشاوى، وهؤلاء حريصون على تأمين ما نهبوه ويحتاطون لمخاطر الانقلابات وتداول السلطة فيهربون هذه الأموال المنهوبة الى الخارج وبذلك يحرمون بلادهم مرتين مرة بالاستحواذ على جزء كبير من المال العام الذي كان ينبغي ان يخصص لجهود التنمية وتنشيط الاقتصاد المحلي، ومرة أخرى بتهريبه الى الخارج وحرمان بلادهم من استثماره محلياً.

وهناك ثانياً: ما يخلقه جو الفساد العام في المجتمع من قلق وعدم ثقة بجعل بعض المواطنين المحليين يودعون اموالهم في حسابات في الخارج تأميناً لمداخراتهم، فكأن المستفيد الأول من الفساد في العالم الثالث هو المؤسسات المالية واقتصاديات دول العالم الأول، فهذه الأموال المهربة نفسها يعاد اقراضها لدول العالم الثالث بفوائد باهظة، وتستمر العجلة البشعة في الدوران، وتطحن في دورانها شعوب العالم الثالث».

۴ آذار ۱۹۲۲ م

G.